
7me Année No. 287

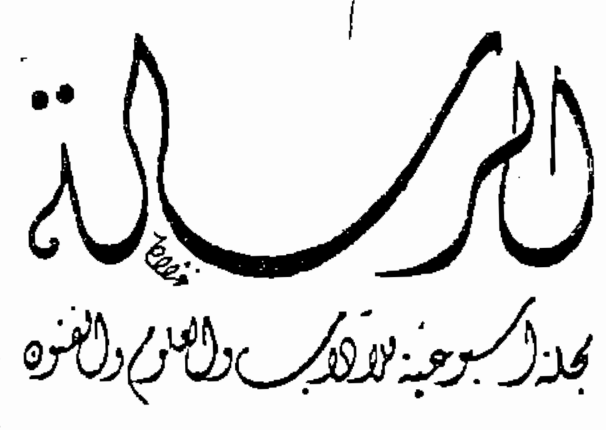
Lundi - 2 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

صفحة

١ الرسالة فى عامها السابع : أحمد حسن الزيات ... ...

٣ سبيل الصحافة ... ... : الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

٤ من برجنا العاجى ... ... : الأستاذ توفيق الحكيم ...

٥ الشريف الرضى ... ... : الأستاذ عبد الرحمن شكرى

٧ لم الفرار إلى هالك ؟ ... : الدكتور بشر فارس ... ...

٩ أغرب ما رأيت فى حياتى : الدكتور زكى مبارك ... ...

١٣ ورد الصباح ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

١٤ القديم والجديد ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

١٦ تحية للرسالة (قصيدة) : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

١٧ إلى أين نسير ... ... : الأستاذ محمد حسن ظاظا ...

١٩ قلت لنفسى ... ... : ابن عبد الملك ... ...

٢٠ نتائج اتفاق مونيخ ... : الدكتور يوسف هيكل .. ...

٢٢ دفاع الشيخ عن مرضه : الأستاذ محمد لطفى جمعة ... ...

٢٤ فى الأقصر ... ... : الآنسة الفاضلة « الزهرة »

٢٦ العالم اليوم ... ... : الدكتور محمد محمود غالى .. ...

٢٩ تاريخ الفن ... ... : الدكتور أحمد موسى ... ...

٣٢ المرأة اليونانية ... ... : الآنسة زينب الحكيم ... ...

٣٥ الجائزة « قصة » ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان ...

٣٨ دراسة عن أحمد شوقى بالفرنسية — إتصال المصريين لهذا العهد بأجدادهم — حديث عن المسرح الباريسى — الأسس التجريبية للنظريات الكهربائية الحديثة ... ...

٣٩ الحلقة المفقودة ... ...

٤٠ حول مقال — مشروع لاحياء أدب الرافعى — دراسة المخطوطات العربية فى جامعة برنستون بأمريكا ... ...

٤١ المسابقة الأدبية والرسائل التى قدمت — الأمير شكيب أرسلان فى دمشق — تنظيم مجمع فؤاد — أستاذ فى جامعة فينا يزور مصر فى مهمة علمية - الثقافة — عالم سويسرى يزور مصر

٤٢ التصوف الاسلامى (كتاب) : « الزيات » ... ...

٤٣ فيض الخاطر (كتاب) : الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

٤٦ المسرح ... ... : ... ...

الرسالة

فى عامها السابع

بلغت الرسالة — والحمد لله على تأييده وتسديده — سنتها السابعة . والسبعة فى عقيدة الشرقيين عدد يدل على الكمال واليمن والكثرة . وله فى الفلك والرياضة والأساطير والدين مزايا وخواص . وهو فى عمر الإنسان سن التمييز وأول الفتوة . فإذا بدت على الرسالة اليوم مظاهر النشاط ودلائل الاغتباط ومصاديق التجدد ، كان ذلك جارياً على سَنَن الطبيعة . فان الحى يَنمو ، والنامى يتطوَّر ، والمتطوِّر يخضع لضرورة الوجود وحاجة الموجود ، فلا يكون إلا ما ترضاه الحياة وتريده الخليقة . والرسالة وليدة الفكر المستقل فى نهضتنا الحديثة ؛ تخلَّقت من أمشاجه ، وتغذت على إنتاجه ، ورقَّتْ على أسباب رقيه . فلو أنها كانت للعامة لقتلها ملَلها ، أو كانت للسياسة لأصابها فشلها ؛ ولكنها كانت للفكرة الحرة التى ترُود ثم تقود ثم تهيمن ؛ فإن شئت قلت هى الروحية فى هيكل الوطن ، وإن شئت قلت هى الإنسانية فى معنى الأمة

من أجل ذلك عاشت الرسالة . ولكنها تعيش كما يعيش

المجد ، وتمشى كما يمشى الحق . والمجد يعيش متزايلاً ولـكنه ينال ؛ والحق يمشى متثاقلاً ولـكنه يصل

* * *

لقد أصبحت الرسالة بفضل ما مكن الله لها فى النفوس القريبة والبعيدة عنواناً من عناوين المجد القومى الخالد ، وفصلاً من فصول الأدب العربى الحديث . فإذا وجدت على جنبات النيل مصر العاملة المدبرة ، وجدت على صفحات الرسالة مصر الشاعرة المفكرة . وشتان بين يد تعمل فى التراب ، وفكر يجول مع السحاب ، فيومض فى كل نفس ، ويمطر فى كل بلد ! وإذا فنى أثر اليد مع الإنسان، بقى أثر الروح سرمداً مع الله . فمن ذا الذى يستكثر على الرسالة منا أن تُسهر لها العيون حتى تَعشى ، وتُرهف لها العزم حتى يكل ، وتحبس عليها القلب حتى يقف ؟؟ أليست هى كما ذكرنا وكررنا ديوان العرب المشترك ، جَمعت فيه الأشتات إلى الأشتات ، ووفّقت بين الأصوات والأصوات ، ثم ألّفت من هـــذه الآلات المنفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود ؟

يتساءل الذين اكتنهوا حرفة الأدب وكابدوا بلاء النفس فيها : كيف تسنى للرسالة أن تعيش على خفض الاشتراك ونقص المورد من الإعلان ؟ ونحن نقول عن عقيدة وخبرة : إن وفرة المال لا تضمن النجاح ، كما أن كثرة الجيوش لا تكفل النصر . إنما القوة الروحية هى المدد الإلٰهى الذى يهبه الله للمجاهدين متى شاء أن تدول دولة ، أو تعلو كلمة ، أو تبلغ رسالة . وتبليغ الرسالة جهاد . والمجاهد عتاده الإيمان وزاده الصبر ؛ ومن وجد فى العمل منجاه من الهم وملاذه من الناس فقد وجد الثواب عليه فيه

على أن الرسالة مع ذلك شيدت داراً وأنشأت مطبعة . وهى ترجو فى عامها الجديد أن يظاهر الله عليها المعونة حتى تقوم بإنجاز ما وعدت من توسيع الخطو وتنويع العرض وتوفير العُدة ثم وعدت الرسالة ! وكان من طبعها ألا تماطل الرغبات بالتمنية ، وألا تستميل الشهوات بالوعد ؛ كما كان من عقيدتها أن العمل الصامت أنطق الأدلة على توخى الحق ، والماضى الواضح أضمن الوثائق للمستقبل المبهم ؛ ولـكنها فى ميعة النشاط ونشوة الأمل تطيع سورة الشباب ، فتطمح إلى الـكمال مغضية عن العجز ، وتثب إلى الغاية مستخفة بالعوائق . وما وعْدُها اليوم إلا فيض من الرجاء طفح مما تسر على ما « تعلن » !

* * *

شكونا من الحكومة أنها تهمل الأدب ، وعتبنا على القراء أنهم يعزفون عن الجد ، فما نفعت الشكوى ولا أجدى العتاب . ذلك لأن الحال التى نحن عليها اليوم من اضطراب الحكم بين رغبات الأمة وحملات المعارضة ، وتوزّع الرأى المثقف بين الأهواء المتعارضة فى السياسة ، لا تزال تبعدنا عن حياة الأمن والاستقرار التى تعود إلى الناس فيها لذة التفكير وشهوة القراءة . فليس لنا من سبيل إلا أن نؤدى واجبنا ونسكت ، أو نقول كلمتنا على رأى المسيح ونمضى . والأديب مكتوب عليه أن يجاهد ويضحى ، لا يستمد العون إلا من ربه ، ولا يلتمس العزاء إلا من قلبه ، ولا يبتغى الثواب إلا من سلطان ضميره

وقد ظهر فى العالم الأدبى مع هذا العام الجديد مجلتان محترمتان هما « العصور » و « الثقافة » ، وسيكون لصوتهما مع صوت الرسالة دوى شديد يفتح العيون الوسْنى على الصحائف المكتوبة بعصارة الأذهان ومهج القلوب، فيهز الأدب الذاوي، وتنشط العقول الفاترة

* * *

اللهم إن كنا أسرفنا فى الرجاء فذلك لحسن الظن بك وقوة الأمل فيك ؛ فهب لنا من لدنك ولياً يكفكف نزوات النفس ، ونصيراً يكفينا عوادى القدر ، ومرشداً يجنبنا مزالق الرأى ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس

احمد حسن الزيات

ســــبيل الصحافة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

فرغت من عملي ، فوضعت القلم ، ونهضت عن المكتب ورحت أتمشى ، فلقيني زميل فسألني :

« كيف ترى الخبر الفلاني ؟ »

قلت : « عظيم . وقد جعلته موضوع مقالي اليوم »

قال : « أنا جئت به »

قلت : « أهنئك . فمن أعطاكه ؟ »

قال : « قد والله سرقته ! »

فضحكت وقلت : « اللص الشريف ! »

وهممت بالانصراف عنه ، بعد أن أثنيت عليه بالذي هو أهله .

فقال : « بودي أن أعرف رأي الوزير فيما صنعتُ ، وما أظن إلا أنه مغيظ محنق »

فقلت : « إن الخبر للنشر على كل حال ، والخلاف بينك وبين الوزير على موعد النشر ، وليس هذا الخلاف بالذي يثير الغضب »

وأقبل في هذه اللحظة زميل آخر فألقيت إليه خلاصة الحديث وقلت :

إن الجريمة ليست في ارتكابها ، بل في افتضاحها . ونحن اليوم نحرم السرقة ، وتقول قوانيننا إنها محظورة ، وإن عقابها كيت وكيت، ولكن (ليكورغ) في إسبارطة القديمة كان يذهب مذهباً آخر فيقول بأن لك أن تسرق على ألا ينكشف أمرك ، فإذا انكشف كان عقابك صارماً . والنتيجة واحدة ، فان السارق الذي يستطيع أن يستر فعلته لا يصيبه شيء ، وما يعاقب إلا الذي يعجز عن إخفاء ما صنع ، ويثبت عليه ارتكاب الفعل

ووجه آخر للمسألة : زميلنا هذا قد سرق شيئاً — لم يسرق خبزاً ليأكل ، ولا مالاً لينفق على نفسه وعلى عياله، أو ليوسع رزقه ، ولكنه مع ذلك سرق شيئاً في سبيل رزقه ، فإن رزقه يتطلب منه أن يوافي الجريدة بطائفة صالحة من الأخبار التي تهم القراء ، وصاحب الجريدة لا يكلفه السرقة ، ولو فعل لكان هذا منه شططاً غير مقبول ، وأمراً لا يطاع ، ولكن الزميل مع ذلك رأى أن قيامه بواجبه يبيح له استقاء الأخبار بهذه الطريقة العوجاء ، وهو — كما تعلم — سنيٌّ متدين ، غير أن كونه سنيًّا ومتديناً لم يمنعه أن يقدم على سرقة صريحة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، من أجل الرزق . ولو أنه كان قد سرق رغيفاً أو بيضة لكان جزاؤه ما يبينه قانون العقوبات . وعذر الذي يسرق الرغيف ليسكت « معدة ثعلبها لاحسٌ ، وتارة أرنبها ضاغبُ » كما يقول ابن الرومي في قصيدته المشهورة لابن الحاجب ، أوضح ممن يسرق ولا جوع به ولا خلة ، وإنما يريد أن يستديم الرضى من صاحب عمله . ولو جئت بسارق الرغيف ، وسارق المذكرة من الوزير أو أعوانه وسقتهما إلى القضاء، لكان للمحقق أن يحكم على سارق الرغيف ، وأن يبرئ سارق المذكرة . وقد يرى القاضي أن الفاقة « ظرف مخفف » — كما يقول رجال القانون — ولكن لن يكون عنده « ظرفاً مبرئاً »

وسارق المذكرة يستطيع وهو آمن أن يباهي بعمله ، وأن يتخذ من قدرته على مثله شهادة مزكية له ، ووسيلة للرفع من شأنه . وكل صاحب جريدة يسمع بجريمته يتمنى لو أن أخا الجرم كان يعمل له ، بل يتمنى لو كان كلُّ من يعمل في جريدته على مثاله . ولكن سارق الرغيف بماذا يباهي ؟ أبفقره ؟ أم بعجزه عن الكسب ؟ أم بما وصمه به القانون ؟ أم بما نزل به من السجن ؟ وكل صاحب عمل يزهد فيه ويخاف منه ويتقي أن يكون عنده مثله ؛ وقد يدركه عليه العطف ، ولكنه لا يطمئن إليه . وإنه ليعلم أنه ما أغراه بالسرقة إلا الجوع وقلة الحيلة وانقطاع الوسيلة ؛ وإنه ما كان ليفعل ما فعل لولا ذلك ؛ ولكن الشكوك مع ذلك تظل تساوره وتقاوم شعور العطف وتغالب رحمة القلب ، بل منطق العقل

وأحسب أن الصحافة مدرسة لتعليم هذا الضرب من السرقة ولست أعرف صحفيًّا واحداً أتيحت له فرصة سرقة وأحجم عنها أو تردد . وما أبرئ نفسي ولا أنا أستثنيها . هذا وليس عملي في الصحافة — ولا كان قط — أن أستقي الأخبار ، ولكن

كل عمل فى الصحافة رهن بالأخبار، فصلته بها أوثق مما يبدو للمرء ، وإن خيلت غير ذلك . وإنك لترى الصحفى « حنبليًا » فى كل شىء إلا حين يحتاج إلى الوقوف على خبر ، وإذا بالذمة تتسع ، وإذا كل شىء جائز فى سبيل الوصول إلى هـذا المستور أو المكتوم ؛ ثم لا أسف ولا ندم ولا توبة . وأكبر الظن أن تسقط الأخبار فى الطباع ، وأن الإنسان فضولى بفطرته . فإذا كان هـذا هكذا فإن الصحافة لا تصنع أكثر من تنظيم الأمر وتوجيهه وجهـة المصلحة العامة لخير الجماعة . والصحافة من ثمرات الحضارة، فهى تصنع كالحضارة — أعنى أنها تعمد إلى الغرائز والفطر الساذجة فتصقلها وتهذبها وتنظمها وتجريها فى مجار معينة ، فيصلح أمر الجماعة ويستقيم حالها . مثال ذلك أن الرجل كان يخطف المرأة التى كانت تروقه أو يسبيها، ثم يحتازها ما دام راغباً فيها ويحارب دونها ؛ وهو الآن يتزوجها ، ولا يحتاج إلى الخطف أو الحرب دونها ، وإن كان ربما احتاج أن يعانى متاعب المنافسة من الخاطبيها ، أو الراغبين فيها غيره ومثاله أيضاً أن الأثرة والأنانية قد اتخذا مظهر الوطنية أو القومية ، ولم تذهب الأثرة ولم يبرأ منها الفرد ، ولكن المدنية استطاعت أن تنتفع بروحها فى الفرد وتسخرها لخير الجماعة

كذلك تفعل الصحافة، حين تستغل فضول الإنسان فتتولى جمع ما يعنيه وتنشره على الناس. وقد خرج الأمر عن أصـله ، حتى لصار يبدو كأنه منقطع الصلة به . ومن الذى يجرؤ أن يقول : إن الصحافة لا هم لها إلا إرضاء فضول الإنسان بعد أن أصبحت تسـمى « السلطة الرابعة ؟ » . ومن ذا الذى يذمها من أجـل أنها تصل إلى أخبارها بمـا يسع رجالها من حيـل ، ويدخل فى طوقهم من وسائل وإن كان بينها السرقة ، بل شراء الذمم بكل ما تشـترى به من طيب وذميم — أى بالخداع ، والملق ، والمدح ، والصـداقة ، وتبادل المنافع ، لا بالمال وحده كما قد يتوهم البعض ، فإن الرشوة الصريحة وسيلة يندر الالتجاء إليها ...

وهكذا جعلت الصحافة من السرقة عملاً محموداً ، ومن مرتكبها لصًّا شريفاً ! ولا عجب فإن خدمة الأمة تكلف أبناءها تعاطى ما يعـده العرف رذائل وآثاماً ، وتحمـد منهم ذلك ، وتجزيهم عليه أحسن الجزاء

ابرهيم عبد القادر المازنى

من برجنا العاجى

هأنذا أهبط إلى برجى العاجى مع الشتاء ، فى الوقت الذى يهبط فيه « الأب نويل » مع عيد الميلاد . إنى أرى لحيته الطويلة البيضاء تمتد لتلتف حول الـكوكب الأرضى . لقد كان طرفها بالأمس فى بلاد الجليد، فإذا هى اليوم فى بلاد الشمس والهلال. لقد طفت بالمدينة فرأيت عجباً . لقد انقلبت القاهرة رأساً على عقب. أنوار وأعلام، وزينات وأفراح، والناس جميعاً مشغولون بإعداد سهرات العيد . الشرقيون قبل الغربيين يتسابقون إلى الاحتفال بعيد ليس عيدهم ، ولـكنهم يريدون تقليد الأجانب . بل إنى لأعرف بيوتاً وأسراً شرقيـة مسلمة تقيم فى منازلها « شجرة الميلاد » أسوة بالأوربيين . نعم . لقد ذهبت أعياد الشرق فلم يعد أحد يأبه لعيد الأضحى أو الهجرة أو ليالى رمضان . إن أعيادنا تقبل علينا فلا نبسم لها ولا نخرج لاستقبالها . إنما نحبس أنفسنا فى بيوتنا كأننا نخجل منها ومن أنفسنا . فإذا جاءت أعياد الأجانب أسرعنا نخرج لها باشين مهللين . نحن فى بلادنا نشارك الأجنبى فى أعياده، وهو على أرضنا لا يشاركنا فى أعيادنا . وبذلك أفهمناه وعلمنا آلنا وأطفالنا منذ الصغر ازدراء ما هو شرقى واحترام ما هو غربى . وهكذا أثبتنا للعالم أن مجرد وطء أقدام الأوربى أرضنا كاف أن يزلزل حصوننا المعنوية . نعم ما كان الغربى يتصوّر أن الشرق ينبذ من أجله حتى أفراحه التاريخية العريقة بألوانها الزاهية وطابعها الأصيل . إنى ليخيل إلى أن الغربى ذاته ، ذلك الضنين بتقاليده ، الحريص على تجميل خرافاته ، يدهش لرؤيته وجه الشرق قد انطمست ملامحه بهذه السهولة، وضاعت معالمه من الرؤوس والنفوس، وزال رسمه الحقيق إلا من تلك الصفحات الرائعات التى سطرها أمثال بيير لوتى وجيراردى نرفال من الأوربيين أنفسهم الذين أعجبوا بالشرق يوم كان الشرق يحتفظ برداء شخصيته فلا يخلعه ليجرى عارياً كالشحاذ خلف الغرب . إنى لم أرق باعتنا المتجولين يصيحون « بعرائس مولد النبى » فى الطرقات ولـكنهم صاحوا البارحة بنداء شق الفضاء : « الأب نويل بقرش ابيض ! الأب نويل بقرش ابيض ! » . وبهذا تم لذى اللحية البيضاء غزو الشرق

توفيق الحـكيم

الشـــريف الرضى
وخصائص شعره
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الشريف الرضى لا يضارع ابن الرومى فى تحليله المعنى وتقصيه إياه، ذلك التقصى الذى ساعد ابن الرومى على إجادة الوصف سواء أكان وصفاً لهمسات النفس وخطراتها أو لأوجه الطبيعة والمرئيات. ولا يضارع الشريف أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التى تأتى بالأبيات الفذة الخالبة الآخذة بمجامع القلوب والتى تستهوى القلوب وتشمل الخيال. ولا يضارع الشريف المتنبى وأبا العلاء المعرى، ولا سيما المعرى فى التفكير فى النفس والحياة، وأخلاق الناس. ولكن للشريف نصيباً لا يستهان به من هذه الميزات؛ وهو مع ذلك قد اختص بالشعر الوجدانى. ولهؤلاء الشعراء جميعاً ولغيرهم شعر وجدانى، ولكنى أحسب أن الشريف بزهم جميعاً فى هذا الضرب من الشعر. وهو قد أمن ما يعتور ابن الرومى فى بعض الأحايين من الفتور بسبب ما قد يبدر منه من الإفراط فى التقصى والتحليل وتتبع الجزئيات؛ وأمن الشريف زلل المبالغة فى الصنعة الذى قد يقع فيه أبو تمام إذا أفرط فى حبه للاختراع والتوليد وإتيان ما لم يأت به أحد من التشبيه أو غيره من صيغ الصنعة؛ وأمن الشريف المبالغة غير المقبولة والمعاظلة كما فى بعض شعر المتنبى؛ وأمن أيضاً ما قد ترى فى ديوان سقط الزند للمعرى من مبالغات المتأخرين التى لا تعبر عن وجدان صادق. ولو قارنت بين شعر الشريف وشعر معاصريه لوجدت فرقاً كبيراً فى الأسلوب والذوق، فإن الصنعة كانت قد انتشرت فى عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد فى التشبيه ومغالاة فى المعنى من غير سيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس، ومن ألاعيب لفظية ومعنوية. وحسبك أن حكيم الشعر العربى المعرى التزم ما لا يلزم فى لزومياته مجاراة لصنعة عصره، وولع أحياناً بالجناس وغيره من المحسنات اللفظية التى لا تناسب ما هو فيه من التفكير والحكمة والجد. ولا عبرة بما يقوله بعض المطلعين على الشعر الأوربى من أن الشاعر العالمى الإنجليزى شكسبير يفعل ذلك ويغرى أحياناً بتلك الألاعيب اللفظية، فإن شكسبير يفعل ذلك فى غير موضع الجد المؤثر، وعلى لسان أناس من طوائف خاصة، أولهم صفات خاصة. والشريف يترفع عن أساليب هذا التلاعب بالألفاظ. ولعل هذا هو ما ينبغى أن يكون، لأن الشريف شاعر الوجدان، والتلاعب بالألفاظ يتلف أثر الشعر الوجدانى فى النفس إذ لا يستقيم معه. وإن أطرب التلاعب باللفظ بعض الناس طرباً سطحياً إلا أنه ليس طرب الوجدان والعاطفة. وهذه الألاعيب اللفظية هى نزهة ولعب يلهو به الذكاء فى استنباطها واختراعها ومقارنة معانيها؛ والذكاء من العقل، فلا غرو إذا قبله المعري شاعر العقل لأنه كان سائداً فى عصره، وإن كان هذا الهزل ضد جده. ولا عبرة بما يقول القائل من أنه أراد أن يلفت بعبثه هذا الناس عن حرية القول والفكر والعقيدة فى بعض شعره كما فعل رابليه الكاتب الفرنسى فى تغطيته نقده لعقائد رجال الدين فى قصصه بالعبث الصاخب، وإن كان عبث رابليه مجوناً لا يطيقه المعرى. ولا عبرة بقول من يقول إن المعرى أحس من مرارة نفسه أن الحياة والخليقة وإن كانت مقدسة تدعو من أجل قداستها إلى مرارة النقد، إلا أنها مهزلة أيضاً؛ فهى مهزلة مقدسة كما سماها دانتى الشاعر الإيطالى، ومن أجل أنها مهزلة أباح هزل الألاعيب اللفظية فى أثناء جد الفكر

ومن أجل أن الشريف شاعر الوجدان كان أقرب شعراء عصره إلى الأقدمين. وكان بدوى النزعة وإن كان قد أخذ بنصيب من الصنعة العباسية لإعظام أثر المناجاة أو النداء أو الاستفهام أو النفى الوجدانى فى شعره، فإنه يستخدم هذه الصيغ البيانية ويتعرف وسائل الصنعة فى تكرارها وموقعها. ولكنها صنعة طبيعية لا تحس أنها صنعة. وهى لا تنافس الوجدان بل تقوى أثره. وإذا قرأ القارئ له غزله أو رثاءه أو إخوانياته أو تحسره على انحسار الشباب أو مناجاته الديار ظهرت للقارئ آثار هذه الصيغ فى إشباع الوجدان وإقناعه، فإن الشريف الرضى يشبع الوجدان ويقنعه ويطربه ويستميله بالنداء الوجدانى، أو الاستفهام والسؤال، أو النفى أو الإخبار بصيغة التحقيق والتأكيد، أو الأمر أو المناجاة بأساليب أخرى.. ويفعل الشريف كل ذلك حتى ليخيل إلى القارئ أن لأدوات هذه الصيغ فى شعره معنى ليس لها فى شعر غيره؛ وهو

إذا رأى تلك الأدوات والحروف مثل (يا) أو (الهمزة) للاستفهام أو النداء أو (أين) أو (كيف) أو (لن) أو (قد) عرف أنه يجيد استخدامها لأغراض الشعر الوجدانى أكثر من إجادة غيره استخدامها ، فى رثاء أحبابه وأودائه ينادى الدهر فيقول :

(يا) دهر رَشْقاً بكل نائبة
(قد) انتهى العتب وانقضى العجب
(رُدَّ) يدى ماالستطعت عن أربى (لَمْ) يبق لى بعد موتهم أرب

فى هذين البيتين استخدم النداء والإخبار بالتحقيق والأمر والنفى كلها بصيغة وجدانية تؤثر فى النفس. فهذه هى الصنعة اللفظية المحمودة لا الجناس والألاعيب اللفظية التى أولع بها معاصروه .

ويخاطب وينادى النظرة ويسأل مع النفى فى قوله :

ذكرتكمُ ذكر الصبا بعد عهده قضى وطرا منه وليس بعائد
(فيا) نظرة لا تملك العين أختها إلى الدار مِنْ رمل اللوى المتقاود
(أما) فارق الأحباب قبلى مفارق ولا شيّع الأظعان مثلى واجد؟

فى هذه الأبيات استخدم الإخبار ثم النداء ثم الاستفهام المنفى ، وهذه صيغ لفظية وصنعة لفظية لا يحسُّ القارئ أنها صنعة؛ وهى صنعة الطبع التى تُقْنع الوجدان ، ويتفنن الشريف ويفتن فى مناجاته ومناداته الوجدانية فينادى وقفة الأحباب فيقول : (يا وقفة بوراء الليل أعهدها الخ) وينادى بؤس القرب القصير من الأحباب الذى يعقبه الفراق الطويل فيقول :

فيابؤس للقرب الذى لا نذوقه
سوى ساعة ثم الفراق مدى الدهر

وينادى نفسه ويشجعها على تحمل آلام الحياة ومتاعبها فيقول:

يا نفس لا تهلكى يأساً ولا تدعى
كَوْكَ الشكائم حتى ينقضى العُمُرُ

وينادى الشباب فيقول :

فمن يك ناسياً عهداً فانى لِعَهدك ياشبابىَ غير ناسى
فإن العيش بعدك غير عيش وإن الناس بعدك غير ناس(١)

وينادى بؤس نفسه فى الغزل فيقول :

يا بؤس مقتنص الغزال طاعة ذهب الغزال بلب ذاك القانص
كالدرة البيضاء حان ضياعها مِنْ بَعْدِ ماملأت عين الغائص

(١) أسقطنا أبياتا بين هذين البيتين وهى أبيات مطربة ولكننا أردنا الاختصار

ما كان قربك غير برق لامع وَلّى الغمام به وظل قالص
أغدو على أمل كحبك زائد وأروح عن حظ كوصلك ناقص

وينادى الحبيب صاحب القلب الصحيح الخالى من الهوى فيقول :

ياصاحب القلب الصحيح أما اشتفى ألم الجوى من قلبىَ المصدوع

ولاحظ أنه لم يكتف بصيغة النداء فى (يا) بل قرن إليها صيغة الاستفهام المنفى فى قوله (أما) . وهى ألفاظ إذا جاءت فى كتب النحو كانت ميتة ، ولكنها هنا تثبت حياة كالسمك عند إخراجه من الماء . ويخاطب الشريف السرحة ويرمز بها إلى من يحب فيقول :

إسلمى يا سرحة الحى وإن كنت سحيقَهْ
أتمنّى لك أن تبقَىْ على النأى وريقَهْ
ثمرٌ حَرَّمَ واشيكِ علينا أن نذوقَهْ

وينادى بالهمزة فى قصيدته المطربة فيقول :

أمعينى على بلوغ الأمانى وشفائى من غلتى واشتياقى

وينادى طائر البان فى قصيدته المشهورة فيقول :

يا طائر البان غِرّيداً على فنن ما هاج نوحك لى يا طائر البان!
(هل أنت مُبْلغٌ من هام الفؤاد به ... الخ)

فانظر إلى أثر (يا) و (ما) و (هل) ، وإلى تلك الصنعة اللفظية التى تقنع الوجدان كل الإقناع . وقد يُقْنع الوجدان أيضاً بالمناجاة من غير أدوات النداء فيناجى الموطن والدار فيقول :

سَكَنْتُكِ والأيام بيضٌ كأنها من الطيب فى أثوابنا تتقلّبُ
ويُعجبُنِى منك النسيمُ إذا سَرَى
ألا كلُّ ماسَرّى عن القلبِ مُعْجِبُ

ويقول :

كأنك قدمةَ الأمل المرَّجى علَىَّ وطلعة الفرج القريب

ويقول :

وأهجركم هجر الخلىّ وأنتمُ أعزُّ على عينىَّ من طارق الكرى

ويقول :

وإنى لأقوى ما أكون طاعةً إذا كذبت فيك المنى والمطامع

ويقول فى قصيدة مطربة :

فإنْ لم تكن عندى كسمعى وناظرى
فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

وإنك أحلى فى فؤادى من الكرى
وأعـذب طعماً فى فؤادى من الأمن

ويناجى أيضاً مناجاة وجدانية فيقول :

أنت الكرى مؤنساً طرفى وبعضهم
مثل القذى مانعاً عينى من الوسن

ويقول :

فقلت نعم لم تسمع الأذن دعوة — بَلَى إن قلبى سامع وجنـانى

وتراه يستخدم الاستفهام استخداماً وجدانياً مطرباً كاطراب نداثه الوجدانى فيقول :

هل تذكر الزمنَ الأنيقَ وعيشنا — يحلو على مُتَـأَمَّـل ومذاقِ ؟
وليالىَ الصبوات وهى قصائر — خطفِ الوميض بعارض مبراقِ ؟

ويستفهم بأين ويناجى فى قصيدته فى ديار الحيرة ، وهى من الوصف الوجدانى المؤثر ، ومن الشعر الذى ينبغى أن يختار له كلما اختير له شعر وجدانى ويقول فى مطلعها :

أين بانوك أيها الحيرة البيـ — ـضاء والموطئون منك الديارا ؟

(المقال بقية) عبد الرحمن شكرى

لم الفرار إلى هنالك ؟

للدكتور بشر فارس

لست بسليم أية سلامة حتى إلى أعرض عن الاستشفاء ، ولكنى لا أرحل صيف كل سنة إلى أوربة رغبة فى معالجة كبد أو مراقبة قلب . ولست ممن يهوى الحر والسَّموم ، ولكنى لا أرحل طرباً إلى « النسيم العليل » (متى يموت هذا التعبير وأخواته ، يأيها الناس ؟ !) . ولست من يحب أن يقال فيه : « هذا رجل يعود من أوربة »

ولكنى أرحل إليها ... بل أفر إليها .

مما وممن ؟

أتصافينى فأصارحك ؟

أفر من مصر ثم منى ... ومنك .

أفر من مصر لأنَّ لهـا من نفسى موضعاً عزيزاً . ألم يتفق لك (أعانك الله على مصاحبة النساء !) أن تمل صحبة المرأة التى تخصها بوثبات ودك ، وترعاها بلفتات طرفك ، وتحيطها بنبضات قلبك (ولعله باقٍ على خفقانه) ؟ نهاية الحب بغض أو عراك . ولا بدَّ من القطيعة لصيانة الشوق ؛ والشوق نشاط ، والنشاط حياة

بينى وبين مصر مغاضبة . أريدها أن تقدم رجلاً عازمة إذا مضت قُدُماً وهى تأبى إلا أن ترتاب فى قدر الخطوة التى جرؤت عليها ، كأن الموضع الذى تخطته فردوس (ملتن) . وكثيراً ما تنتقم من الرجل التى تقدمت بالاستواء فى وقفتها أو (معاذ الله !) بالإدبار : نُصب ماثل فى عُرض الطريق والخلق من خلفه يتأملون وأعينهم يُدَغْدِغها النعاس !

لا نزال نحن المصريين نركب قطاراً يذهب بنا ويجئ من موضع منظور إلى آخر معلوم ، فتارة يمهل فى محطة قائمة فى أول « الخط » وأخرى فى محطة فى آخره أو منتصفه . وأما الذى يلى الموضعين شمالاً وجنوباً فغير واقع بعد فى دليل « السكة الحديدية » .

* * *

هذا الصداع الذى بين التوثب والتقبض يفتح باباً عريضاً لأسباب المناقضة والتمزق ، وألوان المناوأة والتشيع ، ثم يروِّج البضاعة الخفيفة على صنوفها ويُدخل الغرور فى أنفس أصحابها . فتضيع الموازين وتفتر العزائم الصادقة ويزيغ حكم الجمهور .

وحى الثقافة مثل على ذلك .

الثقافة هنالك (إلا فى البلدان التى يسوسها حاكم بأمره متحمس) واحدة ، لأن برنامج التعليم مجرًى على منهاج واحد . فلا فرق بين قس وزنديق من حيث القابلية الذهنية ، أعنى من حيث إدراك الأمور . أما تأويل الأمور وحكاية رفضها وقبولها فما يرجع إلى وجهة النظر وميل النفس . ثم لا فرق بين صانع لم يأخذ من العلم إلا طرفاً ، وكاتب كشفت له الثقافة عن أدق أسرارها ، سوى أن هذا ذهب فى التحصيل أبعد من ذاك .

ثقافة معينة أسبابها ، واضحة معالمها ، تتسع الحين بعد الحين باتساع مجال العلم ، ثم مرسومة على قدّ أذهان أهلها .

ومن نتائج هذه الثقافة أن الفكر يظفر بحرية لا تعرف القيد وأن القلم يجرى على هواه . فإذا أصاب المنشىء عيباً عالن به ، وإذا

رأى رأيا بثه غير هياب . فلا ترى يداور فى الكتابة أو يتنصل مما كتب . وإذا انتهى العالم ببحثه إلى حقيقة تصرع القضايا المألوفة جهر بها مطمئن الجانب . وإذا بدا لناقد أن يقول قولاً فى كتاب أو عمل متصل بشئون التهذيب دونه من دون أن يرقب الرضى أو يخشى السخط .

وتعليل ذلك أن الثقافة هنالك منفصلة من الدين ومنزهة عن السياسة. الثقافة مدارها العقل ، أما الدين فأمر إيمان ، وأما السياسة فمسألة هوى . وكلما بطشت السياسة بالثقافة أجتثها؛ وكلما مشى إليها الدين حوّلها إلى مجراه وأرساها عند شطئه .

ومن نتائج هـذه الثقافة أن برنامج التعليم يقصد إلى تهذيب ملكة التفكير لا إلى حشو خلايا الذهن . فالمتأدب هنالك يطلب القراءة المفيدة لا القراءة المسلّية ؛ والمنجذب إلى المسرح حقاً يرغب فى المسرحيات التى تقوم عنده مقام غذاء لا تلك التى تهز أعصابه كأنها صورة من الصور المتحركة ؛ والدائب على قراءة النقد ينتظر حكماً معتدلاً يدل له شيئا من الأمر حتى يستوى له رأى لا إطراء مفرطاً أو ذماً مقيماً ؛ وطالب العلم إنما يأخذ أساليب التحصيل والاجتهاد رجاء أن يكب على البحث فيما يأتى من الزمان وهو جد عارف أن « مائدة الثقافة لا تقبل طفيلياً » .

ومن خصائص هذه الثقافة أن كل فرد من أهل الأدب يعرف ما له وما عليه . فلا ترى المطلع يهيم على الإنشاء والنقد ، ولا القصصى يقبل على كتابة الرسائل الفلسفية ، ولا الصحافى يتعرض لنقـد المسارح ومعارض الصور ، ولا الدعى يغير على مؤلفات غيره فينتحلها أو يسلخها أو يمسخها ؛ ثم لا ترى الناقد المعتز بصناعته الوفى لها يُهمل الكتب الخارجة من المطابع لأن أصحابها من المحدثين، أو لأنهم غير متعصبين له، أو لأنهم أتوا بشىء لم يتوقعه .

ومن خصائص هذه الثقافة أنها تنشىء مُثلاً عليا. فالشاعر — مثلاً — يُكرم قريحته أن تفيض بما قاله غيره سواء من باب السطو أو من باب التقليد ؛ ثم إنه — إلا فى النادر النادر — يعف عن النظم لرغبة أو رهبة ؛ ثم إنه يحاول ما استطاع أن يميز شعره من شعر أصحابه ، ولا يبلغ ذلك إلا إذا استخرج من وليجة نفسه كنوزها فلا تهويل ولا جلجلة !

تلك أمثال من صدق الثقافة هنالك . وإنما صدقها يرجع إلى وحدتها واستقرارها وسهر أصحاب الأمر عليها . ومن الأمثلة على سهر القوم عليها أن الجوائز والمكافآت الموقوفة عليها إنما تجرى على طريقة مرضية . وقصة ذلك أنها مبذولة للمنشئين الحق ولا سيما المحدثين منهم على أن يؤلفوا كتباً لها شأنها لا لموظفين بينهم وبين الأدب المحض شقاق على الغالب، ولا لأصدقاء وأعوان، وأنها بين أيدى حكام لهم — على الأقل ! — دراية بما يفصلون فيه .

وإليك مثلاً آخر : إن شؤون الثقافة العامة لا تُقضى بين جدران وزارة المعارف وفى بهو الجامعة فقط (كأنما الفطنة حصرت فى عقول فئة من الموظفين ، والعلم جُمع فى صدور نفر من الأساتذة) . إن حق الأدباء والمنشئين وأصحاب المجلات الرفيعة فى معالجة شؤون الثقافة العامة ليس دون حق أولئك الأساتذة والموظفين .

بقى أن القوم يضعون صاحب الشأن فى موضعه، ويستثمرون ما يجب استثماره، ثم ينبذون من يتوسل بغير الكفاية ويستهزئون بورم الألقاب وطنين الأسماء .

* * *

تلك صبغة الثقافة هنالك . وليس معنى هذا أنها صافية كل الصفاء ، فالخلق هنالك بشر . إلا أن مبادئها سليمة ومجدية

بشر فارس

أغرب ما رأيت فى حياتى

للدكتور زكى مبارك

أنا متهمٌ بالعقل ومتهمٌ بالجنون . فمن وصفنى بالعقل فهو متلطف ، ومن وصفنى بالجنون فهو مسرف . لأنى فى حقيقة أمرى إنسانٌ يعيش بثورة العواطف فوق ما يعيش بقوة العقل ، وهى حالة تجعل أمرى وسطاً بين العقل والجنون

والتوفيق الذى ظفرت به فى حياتى العلمية مدينٌ لحياتى الوجدانية ؛ فقوة الوجدان هى التى حملتنى على أن أستقتل فى الدراسات الأدبية والفلسفية . وقد يأتى يوم أعترف فيه بالأسباب الوجدانية التى جعلت عقلى يتفوق إلى أبعد حدود التفوق فى مثل كتاب النثر الفنى أو كتاب التصوف الإسلامى

وهذه الغرابة فى تكوين عقلى وقلبى هى التى تحملنى على الجرأة فى تدوين هذا الحديث ، وهو حديث كنت أفتضح به أشنع افتضاح لو نشرته قبل سنتين أو ثلاث ، يوم كان لى خصوم يسرهم أن تحاط حياتى بالأقاويل والأراجيف

أما اليوم وقد قل خصومى بحيث لا يزيدون عن ألف أو ألفين ، فأنا أنشر هذا الحديث بلا تهيب ولا تخوف ، وليقل من شاء ما شاء

* * *

كنت حين انتسبت إلى جامعة باريس أقضى أربعة أشهر من كل سنة فى مدينة النور ، ثم أعود إلى وطنى لأجمع من الصحافة والتدريس ما أستطيع به الرجوع إلى باريس من جديد . ودام ذلك بضع سنين ، ثم عرفت أنى لن أصل إلى غرضى إلا إذا قررت بطريقة حاسمة ألا أفارق باريس إلا فى أحد حالين : النصر أو الموت

وكانت الإقامة الدائمة فى باريس تبدو من المستحيلات ، لأن أبى رحمه الله لم يكن يقدر على إمدادى بكل ما أحتاج إليه . وكان ما ورثته عن أمى طيب الله ثراها لا يزيد عن بضعة قراريط . وكانت زوجتى أفقر منى ؛ ولم يكن لى فى الحكومة المصرية عمٌ ولا خال

وفى تلك الظلمات استطعت أن أتفق مع الأستاذ عبد القادر حمزة على مراسلة البلاغ من باريس بمرتب قدره خمسة عشر جنيها ، فتوكلت على الله وقررت الاعتكاف بالقبلة القديمة فى السوربون

ولكن مراسلة البلاغ من باريس لم تكن عملاً ينفع إلا فى حال واحد : هو أن يشعر صاحب البلاغ بأنى أقدم إليه محصولاً أدبياً ينقل القراء من حال إلى أحوال ، فقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشتهر بين أصحاب الجرائد بأنه يحسن الاعتذار إلى من يريد الاستغناء عنهم من المحررين والمخبرين والمراسلين ؛ وكنت جربت اعتذاراته الرقيقة قبل ذلك حين كنت أحرر فى البلاغ الأسبوعى سنة ١٩٢٦ . ولكن اعتذاراته فى ذلك الوقت لم تكن تؤذينى لأنى كنت مدرساً فى الجامعة المصرية ، وكنت بفضل تلك الوظيفة من المياسير

* * *

ماذا أصنع فى مراسلة البلاغ من باريس ؟

كنت أستطيع أن أرسل إليه مقالات فى الأدب العربى ، وأنا من أقطابه بلا جدال ، ولكن إرسال مقالات عن الأدب العربى من باريس كان ضرباً من السخف يقترفه من يراسل البلاغ من باريس . وهل يعيش الأديب فى باريس ليحدث الناس عن ابن المقفع وابن العميد ؟ !

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع لأنجو من تسلُّم خطاب رقيق من خطابات الاعتذار التى يجيدها صاحب البلاغ ؟ ماذا أصنع لأظفر بخمسة عشر جنيهاً أضيفها إلى المبالغ الضئيلة التى أكسبها من الدروس الخصوصية التى أعطيها للطلبة الضعاف فى اللغة الفرنسية من أعضاء البعثات ، والنقود التافهة التى آخذها فى مقابل المساعدة التى أؤديها لبعض المستشرقين الذين يهمهم أن ينقلوا النصوص العربية إلى اللغة الفرنسية ؟

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

لم يكن أمامى إلا مسلكٌ واحد : هو الاندماج المطلق فى باريس لأحدث قراء البلاغ بأحاديث منتزعة من الحياة الواقعية فى باريس

وما هى إلا أسابيع حتى عرف صاحب البلاغ أنه لن يكتب إلى رجل مثلى خطاب اعتذار ، وحتى عرف قراء البلاغ أنى أحدثهم بما لم يألفوه ، وأن البلاغ لن يستغنى أبداً عن صاحب « الحديث ذو شجون »

* * *

ولكن الانتصار فى هذا الميدان له تكاليف

كان لا بد من الاتصال الدائم بأساتذة السوربون ومدرسة اللغات الشرقية لأظفر بما تساميت إليه من الألقاب العلمية

وكان لابد من معاقرة الحياة فى باريس لأنجح فى مراسلة البلاغ

أما الأساتذة فالظفر بثقتهم سهل ، لأنى فى الواقع من أصلح الناس لفهم ما أسمع من الخطب والمحاضرات ، ولأنى كنت بالفعل شاباً ناضجاً له فى الأدب والفلسفة مذاهب وآراء

الصعوبة كل الصعوبة ، والعسر كل العسر ، هو فى افتراع باريس لأصل إلى أوهام وحقائق أقيّد بها أذواق قراء البلاغ

وكيف أصل إلى هذا الغرض الجليل ؟

هدتنى الفطرة إلى قضاء أوقات الفراغ فى الملاهى والملاعب والمراقص والقهوات ، فكنت أقضى فى هذه النزهة الطريفة ساعات من النهار وساعات من الليل

كنتُ شاباً ، ورحمة الله على شبابى ، الشباب الذى بددتُه فى طلب الحب والمجد

كنت أذرع باريس بقدمى لأخلق لمقالاتى جوًّا من الحقيقة لا من الخيال

وأعاننى على ما أسمو إليه لسانٌ مرن فى اللغة الفرنسية مرونة عجيبة تقدر على جذب من أحاور من أسراب الظباء

والفرنسيون يغفرون للرجل جميع الذنوب إذا أمدته العناية الإلهية بلسان فصيح

وكان لى فى باريس ثلاث قهوات : قهوة صغيرة جداً فى بوليش بجوار (قهوة الرحيل) التى كان يجلس فيها الدكتور طه حسين يوم كان طالباً فى جامعة باريس

وكانت هذه القهوة الصغيرة مخصصة للمواعيد الغرامية ، والتأملات الفلسفية ، فكيف صارت اليوم ؟ ليتنى أعرف !

أما القهوتان الأخريان فهما الروتوند والدُّوم فى حى مونبارناس

* * *

كيف كنتُ أصطبح وأغتبق بهاتين القهوتين ؟

كان مفهوماً عندى أن لا سبيل إلى معاقرة الحياة إلا فى مونبارناس

وإنما كان ذلك لأنى كنت أتهيب مونمارتر تهيباً يصل إلى الفزع والرعب ، فقد تشاجرت فيها مع أحد الشبان الفجار فى سنة ١٩٢٧ وكاد اسمى يقيد فى سجلات البوليس لولا لطف الله. وكانت هذه التجربة القاسية كافيةً لأن أقنع بالضلال فى حى مونبارناس

وفى قهوة الدوم وقعت المأساة أو الملهاة التى أدونها فى هذا الحديث :

دخلت ذات صباح فوجدت سيدة تطالع سِفر الوجود بعينين زرقاوين يندر أن يكون لهما شبيه أو مثيل

وجلستُ بالقرب من تلك السيدة عسانى أنهب منها نظرة أو نظرتين أستعين بهما على إتمام بعض الفصول من كتاب (سحر العيون) الذى أرجو أن يظهر بعد قليل

وما هى إلا دقائق حتى تلاحظْنا برفق وعطف

ثم أشارت بأن أقترب فاقتربت

رباه ! متى تعود أيامى ؟

وبعد أن دار كأس الحديث نحو عشرين دقيقة عرفت أنها من البغايا

أعوذ بالله ؛ أعوذ بالله ، أعوذ بالله !!!

أمثل هذا الحسن يكون من نصيب الفَجَرة الأوباش ؟

أتكون هذه الحسناء الفتانةُ شبيهةً بالشمس ينعم بضوئها من يشاء ولو كان من الخفافيش ؟

أتكون هذه التحفة الفنية شبيهةً بكرائم الأنهار يشرب منها البهائم والدواب ؟

أتكون هذه العيون السواحر من نصيب من يساعده القدر المخبول فيملأ جيبه بالدراهم ولو كان من الأغبياء ؟

أتكون هذه الدُّمية شبيهةً بالحجر الأصم الذى تسجل عليه حوادث الأفّاقين ؟

ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الأليم !

ليتنى مت قبل أن أعرف أن مثل ذلك الحسن يباع !

ألك يارباه حكمة فى إذلال هذه الروائع الفنية التى زينت بها الوجود ؟

ارفع الحجاب مرة واحدة ، يارباه ، لأعرف أسرار السياسة العالية التى تسوس بها مخلوقاتك !

وهجمتُ على تلك السيدة الجميلة بعنف فقالت :

اسمع أيها السيد ، ليست الغواية من همى ولا من مناى . أنا امرأة شقية خدعها شاب مثلك باسم الحب ، وكانت ثمرة الحب طفلا هو اليوم تلميذ بمدرسة (. . .) وقد هجرنى الحبيبُ والدُ الطفل وتركنى وحدى أربيه وأرعاه ، فأنا أتسول باسم الحب لأنفق على ذلك الطفل المسكين ، إلى أن يظهر أبوه ، إلى أن يظهر ذلك الوغد الذى هجر معشوقته وطفله منذ سبع سنين . فإن كنت تدعى الرجولة الصحيحة فتقدم لحمايتى ورعاية طفلى ، وسترى كيف أجزيك عطفاً بعطف وإخلاصاً بإخلاص

وما كدت أسمع هذا القول حتى دارت الأرض تحت قدمى

ومن أين أنفق على هـــذه السيدة وعلى طفلها وليس لى من جريدة البلاغ ومن الدروس الخصوصية إلا مبلغ ضئيل من المال لا يزيد على ثلاثة آلاف من الفرنكات، والحياة قاسية أشد القسوة على الغرباء فى باريس ؟

ثم نظرت فرأيت هذه المرأة تعرض مشروعاً نبيلاً قد يرفع روحى بعد إسفاف . فصوبت بصرى إليها وقلت : وكيف أضمن أن تتولى عن حياة الرجس ؟

فقالت فى استحياء : إن لغرفتى مفتاحين !

فقلت : وما معنى ذلك ؟

فقالت : لك مفتاح ولى مفتاح ، فخذنى لنفسك وراقبنى كيف تشاء ، فان استطعت أن تشهد علىّ ما يريب بعد اليوم فاقتلنى . والمهم أيها السيد أن ينجو طفلى من الجهل ومن الجوع

وفى تلك اللحظة تذكرت عبد المجيد فغلبنى الدمع

تذكرت أنى تركت فى مصر الجديدة أطفالاً منهم عبد المجيد الذى كان يزعزع كيانى حين يقول (بابا)

— وما اسم ابنك ياسيدة ؟

— اسمه موريس

— هلم بنا إلى التسليم على موريس !

***

قد أنسى كل شئ ، ولكنى لن أنسى طلعة موريس

قد ينسينى الموت جميع ما حفظت من اللغة الفرنسية ، ولكنى سأذكر فى قبرى عبارة باقية فى اللغة الفرنسية حين طلع موريس فقالت له أمه : Embrasse papa

وتوهم الطفل أنى أبوه فقبلنى بحرارة والدموع فى عينيه

— Papa !

— Mon petit !

واستأذنا مدير المدرسة فسلم إلينا الطفل ليقضى معنا ليلة فى مباهج باريس

وسألنى الطفل : أين كنت ؟ فأخبرته أنى توجهت إلى الشرق لزيارة القاهرة وبغداد وبيروت ، واخترعت له أقاصيص تعجبه وتلهيه ، ولم يفتنى أن أحدثه عن أخبار الجن والعفاريت .

وفى تلك الليلة هجر الطفل صدر أمه وسكن إلى صدرى لينام نوم السعداء

وفى تلك الليلة شعرت أن روحى ارتفع إلى أجواز السماء

كان موريس ورث عن أمه الفرنسية صفرة الشعر وزرقة العينين ، وكان ورث عن أبيه الهولندى شمائل من السجاحة واللطف ، وكان فى جملته وتفصيله تحفة من تحف الوجود . وقد وجد من عطفى وحنانى كل ما يتمناه ويشتهيه ، فانطلق يحدث أترابه فى المدرسة بالنعيم الذى يلقاه فى يومى الأحد والخميس

وفرحت مرجريت بما صارت إليه من راحة البال وصفاء النفس بعد الهيام الأثيم بأحياء باريس

ومضت تقترح ما تشاء من المغامرات فعلمتنى الرقص وطوفت بى على المكنونات من صناديق الليل

وبفضل مرجريت عرفت من خبايا باريس ما لا يعرف الشياطين

ولم نكتف بذلك ، بل نقلتنى إلى رُوان والهافر وأطلعتنى على المستور من شواطئ المانش ، وأقامت معى فى الضواحى النائية أسابيع

والله وحده يعلم كيف عاشرتُ تلك الحسناء ، فلو أنى قلت إنى كنت فى حبها من الأطهار لما صدقنى مخلوق ، لأن سمعتى تعرضتْ لأخطار كثيرة بسبب التهالك على أخبار الملاح ، ولكن الواقع أنى كنت فى صحبة تلك السيدة رجلاً نبيلاً . وأجمل ما نلتُ منها لم يزد عن قُبلة شهية طبعتْها على جبينى حين أخبرتها أنى

متأهل ولى أبناء . وقد قهرتنى على قبول هدية من العطر و«الـكريم» لأرسلها إلى ابنتى أو زوجتى ، وقد قبلت الهدية ثم ألقيتها خفيةً فى نهر السين

* * *

كانت مرجريت متعبةً إلى أبعد الحدود

قالت ذات يوم : أنت يا دكتور معرض للسمنة لكثرة ما تشرب من البيرة

فقلت : هذا حق !

فقالت : ما رأيك فى سياحة على الأقدام إلى ليون ؟

فقلت : وفى كم يوماً نصل على الأقدام إلى ليون ؟

فقالت : فى نحو أسبوع

فحملنا أثقالنا واتجهنا نحو ليون ماشيَيْن

وبعد يوم واحد تعبتُ، فحملتها على الرجوع بالقطار إلى باريس

ليتنى أطعت مرجريت وذهبتُ ماشياً إلى ليون لأعرف كيف يعيش الناس فى الأقاليم الفرنسية ، ولأجدد الأنس بصحبة مرجريت يوم همنا على وجوهنا فى الحقول النورمندية !

كانت مرجريت ضجرتْ من حياة الفتون

وكنتُ ضجرتُ من حياة الفتون

وكنا نشتهى أن نعرف معنى التصوف فى الحب ، وكيف لا نتصوف فى الحب وقلوبنا معمورة بحب الطفل العزيز موريس ؟

* * *

وبعد أن دام هذا النعيم النبيل خمسة عشر شهراً وصلتُ إلى ما أريد فى امتحانات مدرسة اللغات الشرقية وامتحانات السوربون ، وصممت على الرجوع إلى أهلى وأبنائى ، ولم يكن بدٌّ من توديع مرجريت وموريس

وأى توديع ؟ !

كان من الواجب أن أردَّ المفتاح إلى مرجريت ، فرفضتْ والدمع فى عينيها الزرقاوين ، وقالت : احفظ هذا المفتاح فقد تصل على حين غفلة إلى باريس

وكانت مرجريت لا تزال معرَّضة للفقر والبؤس فوعدتها بإرسال سبعمائة فرنك فى كل شهر لتستطيع الإنفاق على نفسها وعلى ابنها الغالى ، وأنا أفى إذا وعدتُ

* * *

كانت الدنيا فى ذلك العهد لا تخيفنى ، وهل يخاف من يرجع مزوَّداً بأعظم الألقاب من باريس ؟

ولـكننى لم أكد أصل إلى مصر حتى عُطلتْ جريدة البلاغ فأرسلتُ إلى مرجريت أستعفيها مما وعدتُ ، فكتبت تصفح عنى وتسأل الله أن يفتح لى أبواب الرزق

وما هى إلا مدة قصيرة حتى استجاب الله لدعوة مرجريت فكنت آخذ من الجامعة الأمريكية ثمانية وعشرين جنيهاً ، ومن الليسيه اثنين وعشرين جنيهاً ، ومن البلاغ خمسة عشر جنيهاً بغض النظر عما كنت آخذه من المكتبة التجارية ومن مجلة الهلال

ورأيت أن أزيد مرتب مرجريت فكنت أرسل إليها فى كل شهر ألف فرنك

وعرف موريس فضل « أبيه » فكان يرسل إلىَّ فى كل أسبوع خطابين

حرسك الله ياموريس وكتب لك التوفيق !

* * *

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت إلى باريس لأحضر مؤتمر (الليسيون لاييك) نائباً عن أساتذة اللغة العربية بمعهد الليسيه . ذهبت ومعى المفتاح لأزور مرجريت ولكنى استكبرت عن زيارة مرجريت ، وهل يفكر الأساتذة الكبار فى العطف على امرأة نكسْتها القادير؟

ولما رجعتُ من المؤتمر نقصتُ مرتب مرجريت من ألف فرنك إلى سبعمائة فرنك ، واعتذرت بأن مواردى نقصتْ وأنى لم أعد أملك غير التدريس بالليسيه والتحرير فى البلاغ

فكتبتْ مرجريت تقول إنها ترضى منى بأن أعترف أنها استطاعت مرةً واحدة أن تدخل النور إلى حياتى

أعترف يامرجريت بأنك بددت الظلمات فى حياتى

طال العهد على لقاء مرجريت ، وطال العهد على لقاء موريس وحملنى لؤم الطبع على التخلص من مرجريت وموريس ، وهل كانت مرجريت زوجتى ؟ وهل كان موريس ابنى ؟ وهل كنتُ أول شاب أطاع الغواية فى باريس ؟ يجب أن أقطع المرتب الذى خصصتهُ لمرجريت وموريس ، ولكن كيف ؟

لذلك تاريخ ستراه فى الأسبوع المقبل

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وِرد الصباح

للدكتور عبد الوهاب عزام

تنفّس الصبح فى غسق الليل ، ولاحت غرته فى جنح السَّحَر، والنور يسيل من ربى الشرق قليلاً قليلاً، ويولد اليوم الجديد

رب فأضىء عقلى بالهدى، ورغّب نفسى فى الحق والخير، واملأ قلبى بالأمل ، وقوّ يدى على العمل . اشرح صدرى ، واشدد أزرى ، واشحذ عزمى لليوم الجديد

ربّ ! قد طُويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة ، فاجعل صفحتى هذه أوعى للخير وأخلى من الشر ، وزيّنها بالحق ، وبرئها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها الإخلاص لك ، والعمل لوجهك

* * *

ربّ ! إن عقلى يُخدع بالوهم ، ويقنع بالظن ، ويلبس الحق بالباطل . اللهم فاهدنى وثبتنى ، واجعل البرهان الواضح حجتى ، والحق المبين عقيدتى . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

ربّ ! إن قلبى يشوبه الهوى ، ويستهويه الباطل ، فخلص اللهم قلبى من الأهواء ، واملأه بحب الحق إنك أنت الحق المبين

رب ! إن نفسى تنزع إلى أن تتزيّد فيما لها ، وتبخس ما لغيرها ، وتُحمد بما لم تفعل ، وتغمط غيرها ما فعل . اللهم فاجعل حق غيرى أحبّ إلىّ من باطلى ، ورضاك آثر عندى من كل شىء

رب، إن الناس يركنون إلى الدعة ، ويُعذّرون فى الواجب، فاجعلنى دائباً على العمل لا أملّ ، قوّاماً بالواجب لا أعتلّ

رب ، إن الناس ينزعون إلى الظلم ، ويجنحون إلى المحاباة ، ويرضون أنفسهم بباطل يزينونه وحق ينكرونه . اللهم فبغض إلىّ الظلم والمحاباة ، واجعل العدل والحق ملء نفسى وقلبى وقولى وفعلى

رب، إن نفسى تنزع إلى إرضاء الأقوياء والاستهانة بالضعفاء. اللهم فاجعل الناس سواسية عندى ، واجعلنى حرباً على الأقوياء المبطلين ، نصيراً للضعفاء المحقين ، لا تطّبينى فى الحق رغبة ولا رهبة ، ولا يأخذنى فى الصدق خوف ولا رجاء

اللهم إن الناس استهوتهم الشهوات وعبّدتهم المطامع؛ تُضلهم الكبرياء فيصدفون عن الحق ، وتضرعهم الذلة فيخنعون للباطل . فاجعلنى اللهم متواضعاً لا تزهونى نخوة، وقوياً لا تأسرنى شهوة، وحراً لا يعبّدنى مطمع . واملأ قلبى كبراً على السفاسف، وأنفة من الدنايا

اللهم وقد اشتعلت القلوب أحقاداً ، وامتلأت النفوس ضغائن ، وتقطعت بين الناس الأواصر، وفرّق بينهم الحسد، فاملأ قلبى محبة ومودة ، وبرئنى من الحسد والحقد ، واجعلنى أطهر من أن أحقد وأكرم من أن أحسد

اللهم إن القلوب قست ، والنفوس أجدبت ، والوجوه وقحت ، فاملأ قلبى رحمة لكل إنسان ، ونفسى شفقة على كل حيوان ، وأدبنى بأدبك ، واجعل فكرى وقولى وفعلى براً ورحمة وإحساناً

اللهم واجعلنى طماحاً هماماً لا تحد طموحى فى الحق غاية ، ولا ينوء بهمتى فى الخير مطلب

اللهم واجعلنى فى الحق جريئاً لا أخاف ، ومقداماً لا أحجم ، ومحارباً لا أجبن ، واجعلنى عدواً للباطل جريئاً عليه ، محباً للحق خاضعاً له

اللهم اجعل لى من ذكرك قرباً وأنساً ورجاء وثباتاً . اللهم إنى أستقبل يومى مؤمناً بك متوكلا عليك، مخلصاً لك ، مجاهداً فيك، راغباً إليك مستمداً منك

فأضئ عقلى بالهدى ، واملأ قلبى بالأمل ، ورغّب نفسى فى الحق والخير ، واشرح صدرى ، واشدد أزرى واشحذ عزمى لليوم الجديد

سبحانك لا إله إلا أنت الحق المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

عبد الوهاب عزام

رد على نقد

القـــديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أحس أن على ديناً لقراء الرسالة يجب الوفاء به ، فقد كنت وعدت إذا زال الحائل الذى كان يحول بينى وبين الكتابة أن أعود فأفصل ما أجملت فى خطابى الذى نشرته الرسالة وتقيدت فيه بذلك الوعد . وما أجملته هناك وأريد الآن تفصيله ، هو أن ما فهمه الأستاذ (قارئ) من بعض كلماتى ، وانتقده فى مقالاته « الدين والأخلاق بين الجديد والقديم »[1] شىء آخر غير ما أردته بما كتبته ، وأزيد الآن أنه شىء آخر غير ما تفيده تلك الكلمات

وليس الذى يدعونى إلى الكرة بعد تلك الفترة مجرد حب الوفاء ، ولا مجرد الرغبة فى أن أبين أنى أصبت ولم أخطئ ، فالإنسان يخطئ ويصيب ، ولا غضاضة على المخطئ ما دام يخلص النية ويبتغى وجه الحق . إنما أكبر ما يجعلنى أحرص على الرد هو الرغبة فى تصفية مسألة القديم والجديد مرة أخرى — فقد صفيتها قبل ذلك فى بعض فصول كتابى النقد التحليلى — ليتبين وجه الحق فيها عسى ألا يعود أحد ينخدع بما بين لفظى القديم والجديد من تفاوت ، فيؤثر فى المعنويات الجديد لجدته على القديم لقدمه ، كما تعود أن يؤثر فى الماديات الجديد على القديم فى المأكل والمسكن والملباس

والنقد الذى كتبه الأستاذ (قارئ) ، وصدر فيه عن أدب جم موجه إلى كلمتين اثنتين من كلماتى : إلى الكلمة الأولى التى قدمتها بين يدى ما كنت أريد من كتابة حول أدب الرافعى ، وإلى بعض الكلمة السابعة التى جعلتها خاتمة تلك الكلمات . ويظهر أن الأستاذ حين بدأ يكتب ، كتب عفو الساعة من غير أن يرجع إلى الكلمة المنقودة وإلى أخواتها إن لزم ليستوثق من أن المعنى الذى فى ذاكرته هو حقا المعنى المقصود بالكلام المنقود ، فقد كان مر على الكلمة الأولى المنقودة بضعة أسابيع حين كتب الأستاذ

ثم يظهر أن تلك الكلمة الأولى من كلماتى صورت مسألة القديم والجديد صورة غير مألوفة . فلم تقصرها على ميدان الأدب ولكن عدتها إلى ميدان الاجتماع ، ثم جعلت من الميدانين ميداناً واحداً ، ومن حركة النزوع إلى الجديد فى كل منهما حركة واحدة تشملهما جميعاً هى حركة الانصراف إلى جديد الغرب ولو استلزم ذلك الانصراف عن قديم القرآن

لكن هذا التصوير أقرب إلى صميم الأمر وإن كان تصويراً غير مألوف . غير أن قربه من الحق لا يتبين حتى تتبين حدود تينك الحركتين الأدبية والاجتماعية اللتين رُكبتا معاً فى حركة واحدة حين صُوِّرتا ذلك التصوير

وأول هذه الحدود وأوضحها أن تكون الحركة العلمية أو الصناعية غير داخلة فى تينك الحركتين ، فإن الأدب والاجتماع غير العلم والصناعة بالبداهة . وإذن فلا محل للرجوع بحركة الجديد إلى عهد محمد على كما يريد الأستاذ (قارئ) لأن عهد محمد على فيما نعرف لم يأخذ عن الغرب إلا علمه وصناعته ، ولم يمس النظم الإسلامية الاجتماعية فى كثير ولا قليل

وحد آخر من حدود حركة الجديد التى أردناها : أن روحها يخالف روح الإسلام فى الصميم . من أجل ذلك أخرجنا منها حركة التجديد التى قام بها الإمامان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما هو صريح مقالنا الأول الذى نقده الأستاذ من الذاكرة من غير رجوع إليه . وهذا الحد الثانى كاف وحده فى إخراج عهد محمد على مرة أخرى من نطاق البحث ، وإخراج كل حركة جديدة تتفق مع الدين

وحد ثالث من حدود حركة الجديد التى أرخنا لها : أنها حركة أفراد لا حركة حكومات ، اللهم إلا أن تكون حركة الحكومة نتيجة من نتائج انتشار حركة الأفراد كما حمل أصحاب الحركة النسوية مثلا الحكومة المصرية على تحديد سن الزواج . ولم يخطر ببالنا أن ننبه بهذا الفارق حين كتبنا ما كتبنا ، لأننا أولا لم نكن بصدد التاريخ للجديد على إطلاقه ، ولكن كنا بصدد الكلام على حركة صارت بعد مذهباً اعتنقه أفراد دعوا إليه وثاروا على دعوتهم حتى انتشرت وصار لها من السلطان ما لها اليوم — ثانيا — كان واضحا من سياق ما كتبنا ومن الظرف الذى دعا إلى الكتابة ومن بعض عبارات فيها مثل : « ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاماً آثارها فى الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور .

(١) انظر الأعداد ١١٤٣ ، ١١٨٤ ، ١٢٩٧ ، ١٢٦٧ ، ١٢٢٨ ، ١٣٤١ ، ١٤٢٧ (من الرسالة)

وهذا ، وغيره لا يدع مجالا للشك فى أن المقصود هو مسألة القديم والجديد التى ثارت بين الناس والتى لا تزال موجودة بيننا فهذا الحد الثالث كاف هو أيضا لأن يخرج من نطاق البحث كل حركة لم يقم بها فرد أو أفراد ولم يعتنقها جمهور من الناس . وإذن فالحركة التى قصدنا بالنقد والتى قدرنا عمرها بثلاثين عاما هى حركة قائمة بيننا الآن لا ترجع إلى عهد نابليون فى مصر ولا إلى عهد محمد على ولا إلى عهد اسماعيل ، ولكن ترجع فى رأينا من الناحية الأدبية إلى العهد الذى كان هيكل وأمثاله يكتبون فيه فى « الجريدة » ، ومن الناحية الاجتماعية إلى العهد الذى كتب فيه قاسم أمين وأصدر فيه كتابيه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة »

والعهدان فى الحقيقة عهد واحد يظلهما زمن واحد هو زمن اشتداد الحركة الوطنية الأولى حوالى ١٩٠٨ أو قبلها بقليل . ومن هنا أمكن تقدير عمر واحد للحركتين اللتين بدأتا فى الأدب والاجتماع حوالى ذلك التاريخ ، واللتين جعلنا منهما حركة جديدة واحدة عمرها بالطبع عمرها ، وهو تقدير طبيعى كما ترى لا عوج ولا تكلف فيه .

والأستاذ قارئ لم يأخذ علينا مخالفة للواقع فيما يتعلق بالحركة الأدبية من تقديرنا ذلك، فهو يوافقنا فيه وإن كان بعض ما كتب فى مقاله الخامس[1] يدل على أنه يميل إلى جعل عمر حركة الجديد فى الأدب أقل من ثلاثين . أما من الناحية الاجتماعية فإن التأريخ لحركة الجديد فيها بظهور كتابى قاسم أمين أمر معقول . فقبل قاسم لم يدع مسلم فى عصرنا الحديث إلى جديد فى هذا الميدان ، ولم يحاول مسلم أن يدعو الناس فى ميدان الاجتماع إلى مخالفة ما جرى عليه العمل فى زمن الرسول صلوات الله عليه فى مسألة الحجاب مثلاً والسفور . وإذا كان هناك من المسلمين أو غير المسلمين من سبق قاسماً إلى مثل ما دعا إليه فإنه لم يترك أثراً فى الناس فى مصر كما ترك قاسم ، ولم يستهو نفراً إلى مذهبه كما استهوى ، ولم يبدأ حركة كبرت بعده حتى جاوزت كل ما كان يدور له فى حسبان . فقاسم أولى الناس بأن يُبدأ بكتبه تاريخ حركة الجديد مما يخالف الإسلام فى ميدان الاجتماع

والحركة التى بدأها قاسم لم تكن لتبلغ ما بلغت وتستشرى كما استشرت لو لم تجد من الحركة الجديدة فى الأدب مؤيداً وظهيراً . فإنك إذا تتبعت الحركتين وجدتهما سائرتين جنباً لجنب تأخذ إحداهما بيد أختها تقيها العثرة وتثبتها فى المعترك ، وإنك لواجد أن الصحف التى ظاهرت إحدى الحركتين هى نفس الصحف التى ظاهرت الأخرى ، وأن أنصار الجديد فى الأدب كانوا ولا يزالون هم أنفسهم أنصار السفور من قبل وأنصار الاختلاط وما إليه اليوم. كانت الجريدة فى مبدأ الحركتين لسان الدفاع عن كلتيهما والدعوة إليهما، ثم كانت جريدة «السفور»، ثم «السياسة»، ثم «السياسة الأسبوعية » وغزا أنصارها الصحف الأخرى وخلا لهم الجو لما غاب « المؤيد » و «اللواء» ، وصارت الدعوى الجديدة هى البدع و « الموضة » فمن لم يقل بها عن نية واعتقاد قال بها كيلا يوصف بالرجعية والجمود . وليس يهم الآن تعليل ذلك ، إنما المهم توكيد ما كان بين الحركتين من اتصال وتلاقح وتعاون، فالحركة الجديدة فى ميدان الاجتماع أعقبت لوناً جديداً من الأدب لم يكن موجوداً قبلها يصح أن يسمى بأدب السفور ، والحركة الجديدة فى ميدان الأدب مهما يكن أصل نشأتها ، قد امتزجت بعد بالحركة الاجتماعية الجديدة المتفاقمة واستوحت منها أكثر وحيها لأن روح كل منهما مستمدة فى صميمها من روح الغرب لا من روح الإسلام . ومن يكن فى شك من هذا فليرجع مثلاً إلى مجلدات « السياسة » و « السياسة الأسبوعية » قبل ظهور كتاب « حياة محمد » ، فسيتجلى له المذهب الجديد فى الأدب والمذهب الجديد فى الاجتماع قد اتحدا فى حركة واحدة شاملة تنبض بروح الخلاف للاسلام، لأن أصحابها الجهل أكثرهم بالإسلام صدّقوا ما زعمه لهم الغرب من أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين

وإذا كان من رجال الحركة الجديدة فى الأدب من لم يناوئ الإسلام مع الغرب ومشايعيه من أهل الحركة الجديدة فى الاجتماع فلم يتخذ من وحيها وحيه فى كتاباته ، ولم يجر معها إلى آخر الشوط الذى جرت وتجرى إليه ، فإن هؤلاء نفر جد قليل . والناظر إلى صميم الأمر لا يستطيع أن يحكم على حركة إلا بما يغلب عليها ، وسيجعل لذلك القليل مخرجاً إن أمكنه ولو بتقسيم آخر . ونظن أننا فعلنا ذلك بالحد الثانى من الحدود التى فصلناها آنفاً ، وبما سنبينه إن شاء الله فى مقال تال

محمد أحمد الغمراوى

(١) نشير إلى قوله « ولو أننا رجعنا إلى ما ألف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثرا لهذا الاصطلاح : أعنى اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم ، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الخ »

تحيـــــة الرسالة

في عامها السابع

للأستاذ محمود الخفيف

أشهى من الوردِ ومن نشرِه ... ولمحةِ الفردوسِ من سحرِه
ومن رُواء الكونِ مستشرفاً ... للرائعِ المنهلِّ من فجرِه
ومن جبينِ الصبحِ في مهدِه ... وذائبِ الطلِّ على ثغرِه
تجاوبُ الأنفسُ مسحورةً ... سواجعَ الأبكارِ من طيرِه
ومن رؤى الحلمِ وأطيافِه ... ويقظةِ الروحِ على ذكرِه
ومن رِماتِ العيدِ في غدوةٍ ... تزيدُه بشراً على بشرِه
صحيفةُ الشرقِ في جلوةٍ ... تريكَ معنى الدهرِ من سرِّه
رسالةُ الجيلِ على ومضِها ... يستقبلُ النابهُ من عصرِه
صباحُها اللمّاحُ يوحى له ... فينشقُ الآمالَ في عطرِه
يلتفتُ الشرقُ إلى عيدِها ... فيستثيرُ العيدُ من نحرِه
تهزُّه من أمسِه لمحةٌ ... تبتعثُ الذاهبَ من كبرِه
ويزدهيه الجِدُّ في يومِه ... ووثبةُ المفلتِ من أسرِه
يسابقُ العصرَ إلى غايةٍ ... تنسيه ما يلقاه في سيرِه
سيري عروسَ الشرقِ موموقةً ... على هُدى السالفِ من دهرِه
نوري على الجهلِ وأسبابِه ... وحرّري الأعناقَ من نيرِه
وجنّبي الشرقَ ما غرَّه ... من زخرفِ العصرِ ومن زورِه
ومن سرابٍ ظنّه كوثراً ... لو لم يكن صديانَ لم يغرِه
ومزّقي الوهمَ فكم مسّه ... فبات مغلوباً على أمرِه
ما كان لولا الذلُّ يرضى بما ... أسدلَه الباطلُ من سترِه
هاتي من الشرقِ أحاديثَه ... وأيقظي الذاهلَ من سكرِه
قصّي عليه الحقَّ كيف انجلت ... آيتُه الكبرى لدى بدرِه
وحدّثي الغافلَ عن مجدِه ... عن (خالدِ) الشرقِ وعن (عمرِه)
ويُمنِ (هارونَ) وإقبالِه ... ومُلكِ هارونَ على بترِه
مأذنةُ الحقِّ على صوتِها ... لم يبقَ ذو وقرٍ على وقرِه
ترنُّ في المشرقِ أصداؤها ... من أربُعِ الهندِ إلى مصرِه
بغدادُ لا تنفكُّ تهفو لها ... كما هفا الروضُ إلى قطرِه
كم أطلعت آفاقُها أنجماً ... هم في سماءِ الشرقِ من زهرِه
وجارةُ الوادي تصوغُ الهوى ... عقداً يغارُ الزهرُ من طهرِه
شبابُها الأحرارُ كم ينهم ... من عُدّةِ الجيلِ ومن ذخرِه
صحيفةُ المشرقِ قد ألقت ... أشبالَه الغرَّ على نصرِه
دعامةُ الفصحى وبرهانُها ... تدعو إلى اللهِ على أمرِه
ما نسيَ الشرقُ لها عزمَها ... في حلوِ ما تلقى وفي مُرِّه
ما حفلت يوماً بغيرِ العلى ... ولم تجب غِرّاً على هُجرِه
كم نابهٍ مدّت لها كفُّه ... بالرائقِ السلسالِ من فكرِه
وناهضٍ لولا أيادٍ لها ... مرَّ به العصرُ ولم يدرِه
وساجعٍ في ظلِّها رقرقت ... روائعَ الآياتِ من شعرِه
وناثرٍ بنانُه ساحرٌ ... ترى بديعَ الوشي في نثرِه
ومبدعٍ في الفنِّ هشّت له ... فجاء بالمعجبِ من بكرِه
وملهمٍ يحكي عهودَ الهوى ... فتسكرُ الألبابُ من خمرِه
صحيفةٌ ينشطُها أروعٌ ... في سرِّه الصدقُ وفي جهرِه
ألقت له الفصحى مقاليدَها ... فجاء بالمعجزِ من درِّه
كم غايةٍ في الفنِّ دانت له ... طوعاً وقد عزّت على غيرِه
لا تبلغُ الأحقادُ من نفسِه ... ولا ينالُ الغدرُ من صبرِه
لا عسرُه يثنيه عن قصدِه ... ولا يسيغُ الزهوَ في يسرِه
حياؤه أجملُ أوصافِه ... ولا يدقُّ المكرُ عن مكرِه
بيانُه سمحٌ إذا ساقَه ... لا ينفذُ الفلُّ إلى صدرِه
يبني على الأخلاقِ من مجدِه ... ما تعجزُ الأحداثُ عن قهرِه
لا زال يوليه الهدى نورَه ... وترفعُ الأيامُ من قدرِه

الخفيف

وحي العام الجديد

إلى أين نســــير
بين التفاؤل والتشاؤم
للأستاذ محمد حسن ظاظا

« أم ترى نحن هنا – كما يقول غرورنا – لنلعب على مسرح الحياة دورنا الخالد ؟ » جوفروي

انتهى عام وبدأ عام جديد ، وانتهت من قبل أعوام وبدأت أعوام جديدة ، وستنتهي غداً أعوام لتبدأ من بعدها أعوام جديدة ؛ فإلى أين نسير وإلى أي مصير ؟ أترى ندور في حلقة مفرغة يتصل أولها بآخرها وآخرها بأولها ، فلا يمضي عام إلا ويتلوه عام آخر ، ولا ينقضي خلق إلا ويخلفه خلق آخر ؟

لشد ما يحار الإنسان عند ما يسأل نفسه هذا السؤال في مطلع كل عام ! ولشد ما يجد الحياة حوله لغزاً معضلاً يستعصي على الحل ، ولا ينفرج في ناحية إلا ليتعقد ويضيق في النواحي الأخرى !

ولقد وقف هذا الموقف بالأمس الأستاذ Jouffroy فراح يتساءل أمام تلاميذه « بالسربون[1] » عن الغرض من حياتنا تحت الشمس ، وعن معنى الدور الذي نلعبه على مسرح العالم . وراح يعدد الظروف التي تستثير في نفوسنا هذا الموضوع ، والنظرات التي تلقيه على مسامعنا ؛ ونحن نورد لك اليوم موجزاً لأقواله ، ثم نعقب عليه بما نريد

يقول[2]: « لا يكاد يصل الإنسان إلى هذا السؤال إلا أخيراً ، ولكن مشاغل الحياة لا تلبث مع ذلك أن تصرفه عن التفكير فيه ؛ والناس حياله سواء ، عالمهم وجاهلهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وسعيدهم وشقيهم ؛ فليس من واحد منهم يصدمه حادث أليم إلا ويغيم على ذهنه ذلك السؤال المحزن « لماذا نحن هنا ؟ وما معنى هذا الدور الذي نلعبه ؟ »

ثم نحن ندخل الدنيا ونفوسنا مليئة بالآمال والشهوات والرغبات ، وتدفعنا هذه النفوس النهمة الجائعة إلى تحقيق إرادتها وسعادتها، فيقف العالم أمامنا ليحارب تلك الإرادة بكل مايستطيع ومن هنا نقاسي ألم الحرمان ونسخط على حياة وجدنا فيها نهمين نريد أن نشبع وتريد الأقدار أن نجوع !! ولكنا نميل مع ذلك إلى اتهام أنفسنا فنتحلى ونتخلق بالصبر والقناعة والرضى إلى أن تنحط علينا كارثة هائلة ، فنفتح أعيننا من جديد لنرى آمالنا المتلاشية ، ولنصرخ من أعماق قلوبنا المجروحة ، وعقولنا المتزلزلة ، ولنتساءل في لوعة وأنين : « ترى لمَ نحن هنا على ظهر الأرض؟ »

وليس لمآسي الحياة وحدها الإصبع الأكبر في ذلك السؤال ، فإن لسعادتها أيضاً إصبعاً بل أصابع كثيرة ، ذلك أنا نسعد في المبدأ عند ما نحقق رغبة من رغباتنا ، ولكن إذا ظلت سعادتنا وقتاً طويلاً – وقلما يحدث هذا – فسرعان ما تخبو نارها ، وتنمحي روعتها ، فيقل شعورنا بها شيئاً فشيئاً ، وينقلب على مر الأيام إلى كره وفتورة وسخط ، لأنا لا نجدها حينذاك كافية لمطامعنا ومحققة لجميع آمالنا ، ومن ثمَّ نرى الحياة عاجزة عن إشباع رغبة السعادة فينا ، فنشعر بأن مسراتنا أوهام ، ورغباتنا فخاخ نحن أول من يقع فيها . ولا نستطيع أن نتهم أنفسنا هنا كما نتهمها أمام المآسي لأن السعادة بين أيدينا ؟ !

ثم نحن نبدو في المدن كأعظم المخلوقات فنمتلئ شجاعة وثقة وغروراً ، ولكن عند ما نخرج إلى الطبيعة المكشوفة ، ونجد أنفسنا وحيدين أمام سماء لا نهائية ، وأفق تتلوه آفاق ، وجبال شاهقة هائلة ، ونجوم عديدة لا تحصى ، وقرى تختفي في غابات ، وغابات تختفي في فضاء الطبيعة ، بل وعند ما نرى أن هذه الدنيا تسبح في هواء الكون مع عوالم أخرى كثيرة ونحن حيالها لا شيء ، ألا ننسى حينذاك سعادتنا وشقاءنا ، ونروح متسائلين : « أين نحن من العالم وما دورنا فيه ؟ »

وحينما ننظر في تاريخ البشرية ، ونعرف أنها جاءت عارية

(١) عاش الأستاذ جوفروي من سنة ١٧٩٦ إلى سنة ١٨٤٢ م وقد افتتح منهج الأخلاق بالسربون في عام ١٨٣٠ – ١٨٣١ بالمحاضرة التي نوجزها ونعلق عليها في ذلك المقال . أنظر « قضية المصير الانساني » في الكتاب الفرنسي « لالاند » واسمه « مطالعات في فلسفة العلوم »

(٢) لقد حاولنا أن نبسط آراءه موجزة وبنفس طابعها الأصيل بقدر المستطاع .

أو شبه عارية ، ثم قامت منها شعو ـ ، وقام بين هذه الشعوب نزاع فساد الفرس أولاً ثم الأغريق ... ثم الرومان ، ثم البرابرة ؛ بل وحينما نذهب إلى الأصقاع المجهولة ... شمال آسيا وأواسط أفريقيا وأمريكا ، وجزر المحيط ، لنجد فيها قوماً يختلفون في اللغة والفكر ولا يعرفون مثلنا لماذا خلقوا ولا من أين أتوا ؛ عند ما ننظر في ذلك التاريخ البشري بليله البهيم، وفي الأجناس كفاحها وصراعها، ألا نشعر بغموض هائل يكتنفنا من كل ناحية ؟ أما هذه الإنسانية التي نحن جزء منها ؟ من أين أتت ؟ وأيان تذهب ؟ أترى هي كأعشاب الأرض وأشجار الغابات تخرج من التراب وإليه تعود ؟ أم ترى هي هنا — كما يقول غرورها — لتلعب على مسرح الحياة دورها الخالد المحتوم ؟ وأي دور ذاك وما عسى أن يكون ؟ لقد سقطت المدنية الشرقية تحت أقدام المدنية اليونانية ، كما سقطت المدنية اليونانية تحت أقدام المدنية الرومانية ، وكما سقطت هذه الأخيرة تحت أقدام المدنية الجرمانية ، فترى أي مصير سيكون لهذه الأخيرة ؟ أهو الانتصار المحتوم ثم السقوط كما حدث لسابقتها؟ وماذا يكون دور الإنسانية إذاً ؟ أهو الدوران في حلقة مفرغة ؟ أم هو الترقي والتقدم ؟ وأين الترقي والتقدم من وحشية الحروب وفظائعها ؟ وهكذا يحار الإنسان كثيراً وسط هذه الغيوم فيتساءل عبثاً عن القانون الذي يسوق قطيع البشرية بهراوته من أصل مجهول إلى مصير مجهول !

ثم « العلم » بماذا يحدثنا ؟ إنه يقول إننا مجرد حلقة في سلسلة المخلوقات ! ؛ فالأرض قد استعمرت في المبدأ بالنباتات الضخمة التي لا تقارن بها نباتاتنا ، والتي لم تكن لتظل بأوراقها الواسعة العريضة كائناً ما ! ، ثم جاءت ثورة جارفة هدمت تلك الخليقة الأولى كما لو كان خلقها عبثاً ، وأحلت محلها خليقة أخرى هي الزواحف والأسماك ! ! ثم جاءت من بعد هذه خليقة ذوات الأربع الهائلة فمهدت الطريق للانسان الذي طفا أخيراً على السطح كحلقة في سلسلة سابقة ! وقد عاشت كل خليقة من هذه الخلائق السابقة على الأرض كما نعيش الآن ، فلم لا يأتي يوم ننقرض فيه وتصبح عظامنا أمام الخلائق الجديدة مجرد حفريات ضخمة شائبة تحويها المتاحف وتعجب منها العقول ؟ ؟ إننا حلقة بين حلقات مجهولة ناقصة ، وقد خرجت هذه الحلقة لتتحطم بدورها كما تحطمت أخوات لها من قبل ، فمن نحن إذاً ؟ وأي حق لنا في الأمل والغرور ؟ ؟

في كل مكان إذاً حدود ، وفي كل مكان ظلام وعجز وألغاز تتلو ألغازاً ! ونحن نجد أنفسنا متسائلين وحائرين كلما وقعنا تحت تأثير هذه الظروف ، وكم منا قد انتحر إزاء هذا المشكل الكبير! ، وكم منا قد لجأ للعقائد التقليدية ليقنع بما فيها من أقوال ووعود ، ولكن خيط حياتنا لا يفتأ يهتز ويتذبذب كلما تساءلنا في حزن وأسى عن أصلنا ودورنا ومصيرنا المحتوم ! !

ولكن الأمر يبدو بالرغم من ذلك كله أهون مما نظن ! وذلك لأن الحياة والموت ، والسعادة والشقاء ، وعظم الخليقة وظلام التاريخ ؛ كل ذلك وإن أحزن القلب والعقل والضمير فهو يتحدث إلينا بألف لسان ليثير ثورة جارفة تصد اليأس ، وتذود النوم ، وتدفع الإنسانية إلى البحث الشاق الطويل[1] !!.

* * *

إلى البحث الشاق الطويل ؟ أجل إلى البحث الشاق الطويل ! وإذا كانت الأديان قد وفرت علينا مشقة الحل فما ينبغي لعقولنا النورانية أن تقف عند حد أو أن تقنع بالقليل . ولن يضيرنا أن نكون حلقة في سلسلة مجهولة الأطراف، فحسبنا أننا نعيش لنلعب دورنا المحتوم في الحلقة التي نعيش فيها ، ولن يضيرنا أن نتعرض في حياتنا للكوارث والآلام، فحسبنا أن نعلم أن قانون الحياة صارم على الجميع وأن مجدنا وعظمتنا في التحمل والكفاح والصراع أكثر مما هما في الدعة والسرور واللين . ومهما يكن شأننا ضئيلاً في الكون الهائل المخيف فلا شك أننا نستطيع أن نسمو بعقولنا وقلوبنا إلى عليين ، وأن ندرك كل عام من أسرار الحياة والوجود ما يقيم لنا وزناً في العالم المجهول . وإذا كان العلم يشير إلى سلسلة متدرجة مترقية في المخلوقات فلنسأل أين كانا نحن البشر وما عسى أن يكون دورنا الحق في الوجود ؟ وإذا كانت ميزتنا الكبرى قائمة في « العقل » كما يقول أرسطو فلا مندوحة لنا من جعله يمتد بأشعته إلى سر الحياة والكون

(١) نهاية موجز الأستاذ جوفروى

ليأتينا منه كل عام بجديد في نواحي ذلك الثالوث المقدس، ثالوث الحق والخير والجمال . ومهما يكن من شأن النكوص العارض في خط السير فلا شك أننا نقدر جميعا تلك الخطوات الهائلة التي قطعتها الانسانية منذ فجر التاريخ إلى اليوم نحو التقدم والمدنية والنور . فاليوم علم بعد جهل ، وديموقراطية بعد عبودية واستبداد ، وسلام بعد حروب وغارات ! أقول « سلام » وأعلم تماما ما سوف تقول ! وأين السلام من تلك الشعوب المتناصرة المتنابذة التي يحفر كل منها للآخر هوة سحيقة للموت الداهم الفظيع ؟ ولكن رويدك فالفكرة موجودة ، وتزداد بحرارة الخطر اختمارا ، حتى إذا انفجر البركان وأصاب الإنسانية منه أقصى سعير استوت على عرشها وسادت سيادة أنجح وأضمن كما سادت بالأمس القريب فكرة تحرير الرقيق بعد قرون الذل والعبودية والانحطاط !

إلى الكمال إذاً نحن نسير ! إلى كمال الحق والخير والجمال ؛ ولا تفاضل بين الأجيال إلا على ذلك الأساس . ولا ينبغي أن تكون لنا غاية غير هذه الغاية ! ولا يجوز أن نقيس حياتنا أفراداً وجماعات إلا بهذا القياس . ولئن كان مقدراً للأجيال ألا تبلغ ذلك الكمال المثلث فإنما شاء الله ذلك لكيما تبقى للانسانية غاية تعيش من أجلها وفي سبيلها تموت . فلننظر إذاً أي قدر من ذلك الكمال قد تركته لنا الخلائق والأجيال الماضية تراثاً ثميناً مجيداً، ولنعرف كيف نصونه ونحافظ عليه ونسلمه لأبنائنا وديعة كريمة جميلة ؛ ثم نفكر في ماذا عسانا نستطيع أن نزيد عليه من الحق والخير والجمال كما فعلت الأجيال السابقة ليبقى ما نزيده ناطقا باسمه على مر الدهور والأجيال

أجل يجب أن نفكر في ذلك ونسعى في تحقيقه ونحاسب أنفسنا بصدده عند مطلع كل عام جديد

ويجب على هذا الأساس أن نرحب بالعام وأن نتفاءل بمقدمه ، وأن نرجو الله داعين منيبين أن يكشف فيه للانسانية عن درجات أخرى من سلم ذلك الكمال المنشود

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بمدرسة الخديو
إسماعيل الثانوية الأميرية

قلت لنفسي ...

إن مبدأ الإسلام ، إقرارَ السلام ؛ ومع ذلك لجأ إلى القوة وأخذ بنظام التسلح ، فشرع القتال ثم قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » ومن قبلُ جاءت المسيحية عزوفة النفس زهيدة العين تسبل العفو عن الجارم ، وتبيح الخدين للاطم ، وتترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ ومع ذلك قال المسيح : « ما جئت لألقي سلاماً بل حرباً »

فهل معنى ذلك إلا أن القوة هي شريعة الله يحفظ بها سلام العالم ، ويقر عليها نظام الحياة ، ويدفع بها بعض الناس عن بعض حتى لا تفسد الأرض ؟

لقد جأرت أوربا كلها ليلة عيد الميلاد بنشيد المسيحية الشرقية : « وعلى الأرض السلام » حتى جفت الشفاه ، وبحت الحناجر ، ثم أصبح الناس فإذا إيطاليا بلد البابا تحشد الجيوش إلى حدود الصومال ، وفرنسا تجيب على التحدي بجنود السنغال ، وهتلر وجون بول يقفان متحفزين متلاحظين : هذا من وراء الديمقراطية ، وذاك من وراء الدكتاتورية !!

فهل يحسب الذين يثبطون مصر عن إرصاد الأهبة وإعداد القوة، بحجة ما تكلف من المال، وتجشم من الأعمال، أنهم يطيعون الله ويخدمون الوطن ؟ .

ابن عبد الملك

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

كان يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٨ يوما تاريخيا هاما مغيراً تغيراً رئيسيا لوضعية أوروبا الدولية ، ولاتجاه السياسة الغربية ، إذ به تم اتفاق الدول الأربع (في مونيخ) على حل المشكلة التشيكوسلوفاكية حلا لم يتوقعه أحد قبل أيام من ذلك التاريخ، فجزأ هذا الحل تشيكوسلوفاكيا وأثر تأثيراً عظيما وسيئا على حياتها الاقتصادية والسياسية . وأهم من ذلك أنه أدى إلى نتائج دولية خطيرة ، تتصل بعلاقات ألمانيا مع دول جنوب شرقي أوربا والشرق الأدنى من جهة، وبوضعية دول أوربا الكبرى من جهة ثانية .

انتصرت فرنسا عام ١٩١٨ ، فعمل ساستها ورجالاتها على تأمين سلامتهــا ، وإبعاد خطر الغزو الجرماني عنها . إذ ذاقت فرنسا مرارته مرتين في مدة أقل من نصف قرن . واستخدموا لذلك وسائل تأمين السلامة المعهودة قبل الحرب العالمية : المعاهدات والمبادئ التي تولدت عن الحرب الكبرى، والضمان المشترك ضمن نطاق عصبة الأمم

عملت فرنسا عام ١٩١٨ على تطويق ألمانيا من الجهة الشرقية بدول معادية فأوجدت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، وربطتهما بباريس بمعاهدات دفاعية . ولتقوية مركز تشيكوسلوفاكيا الدولي ، ولإيجاد كتلة قوية أمام ألمانيا في جنوب شرق أوربا ، ساعدت فرنسا في تكوين التحالف الصغير بين تشيكوسلوفاكيا، ورومانيا ويوغوسلافيا ، وربطت هذا التحالف بنفسها بروابط ودية متينة . وفي عام ١٩٣٥ وقعت فرنسا على معاهدة دفاع متبادل بينها وبين الروسيا ، وتوسطت إلى إيجاد مثل هذه المعاهدة بين صديقتها تشيكوسلوفاكيا وبلاد السوفيت . ظنت الدوائر السياسية أن هذه الروابط الدولية جعلت مكان تشيكوسلوفاكيا الدولي متيناً لا يتزعزع، ويحول دون أي تفكير في الاعتداء على جمهورية مزاريك، واعتقدت هذه الدوائر أيضاً أن القوى المناهضة لألمانيا في أوربا الوسطى والشرقية قوية إلى درجة لا تجعل حكومة برلين تفكر في اختراق النطاق الذي يحيط بها في تلك الجهة

لم تكتف فرنسا بإيجاد ربيتها تشيكوسلوفاكيا وتقوية مركزها الدولي ، بل عملت على تحصين الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية ، وتنظيم الجيش التشيكوسلوفاكي وتقويته ، لتتمكن من صد أي هجوم حربي ألماني عنها . لهذا أقرضت باريس براغ المليارات من الفرنكات وأرسلت لهــا المهندسين الحربيين الاخصائيين لإنشاء حصون هائلة على الحدود الألمانية ، فأنشيء « خط ماجينو التشيكوسلوفاكي » وصرف عليه ثمانون مليوناً من الجنيهات . ثم أرسلت فرنسا البعثات الحربية لتدريب الجيش التشيكوسلوفاكي وتنظيمه ، فأصبح من أنظم الجيوش الأوروبية وأهمها . وزيادة على ذلك ، فإن دخول تشيكوسلوفاكيا الجغرافي في قلب ألمانيا يساعد على جعل هذه البلاد مركزاً لقوة طيران عظيمة تستطيع هدم كبريات المدن الألمانية الواقعة في الجهات المختلفة. وقد ساهمت فرنسا في تقوية قوى الطيران التشيكوسلوفاكي ، واعتمدت كثيراً على موقع تشيكوسلوفاكيا الجغرافي ، لهذه الغاية ، فكان في إمكان القوى الجوية المتجمعة في تشيكوسلوفاكيا ، تهـديد المـدن الألمانية بسهولة وفي وقت قصير . فظنت الدوائر السياسية ، بعد هذا التحصن وإيجاد هذه القوى ، أن لا فائدة لألمانيا من محاولة الهجوم على ربيبة فرنسا . كما أنها ظنت أن لا أمل يرجى لألمانيا من مهاجمة فرنسا لوجود « خط ماجينو » الذي تتحصن فيه عند الحاجة الجيوش الفرنسية ، وجيوش دول معاهدة لوكارنو ، ولوجود القوى الهائلة المحالفة لفرنسا في أوربا الوسطى والشرقية ، التي في إمكانها الانقضاض على ألمانيا من الجهة الشرقية بسرعة وسهولة

خلافاً لهذه القوى التي هي في حد ذاتها قوى فعالة لا يستهان بها إن عرف استخدامها ، فإن فرنسا استعملت في تأمين سلامتها من الخطر الجرماني ، مبدأ « الضمان المشترك » ضمن نطاق عصبة الأمم . فكانت من أقوى أنصار عصبة الأمم ومن العاملين على تنظيم الضمان المشترك وتنفيذه ومن أشد الغيورين عليه والراجين منه سلاماً . فهل منعت المعاهدات والضمان المشترك ألمانيا عن اجتياز السور الذي أقيم حولها ؟ وبعبارة أخرى ، هل أوصلت السياسة التي تبعتها فرنسا خلال العشرين سنة الماضية الشعب

الفرنسي إلى ما يبغيه من سلام وطمأنينة ؟

لم تنفذ المعاهدات ، ولم يعمل بموجب الضمان المشترك . وتمكنت ألمانيا من رفض القيام بما قبلت من واجبات ومن السير بخطى واسعات للوصول إلى ما تبغي وتطمح

وكان أول ما قامت به ألمانيا امتناعها عن دفع التعويض للحلفاء ، فلم ترغم على دفعه ، ثم قرارها بإلغاء القيود العسكرية في معاهدة فرساي وإعادتها التجنيد الإجباري ، وتجديد معامل الأسلحة والذخيرة في بلادها ، وبناؤها أسطولاً جوياً هائلاً ، فلم يردها الحلفاء السابقون والحاليون عن هذه الأعمال ، ثم احتلالها لمنطقة الرين التي تقضي معاهدة فرساي ببقائها مجردة من كل صبغة عسكرية . فلم تتخذ الدول المتعاقدة في لوكارنو الإجراءات العسكرية التي تقضي بها معاهدة لوكارنو لإعادة منطقة الرين إلى حالتها السابقة ، ثم ضمت ألمانيا دولة قديمة برمتها إليها ، فلم تحرك الدول ساكناً

أما عصبة الأمم فلم تأت بعمل فعال ضد الإجراءات الألمانية ، كما أنها لم تنفذ قانونها حين احتلال منشوريا ، والحرب الحبشية ، والحرب الأسبانية ، والحرب الصينية . تلك الحروب التي هي وليدة أنانية الدول الكبرى ، وضعف عصبة الأمم المستعمرة ووجود الضمان المشترك بين طيات الأوراق فقط .

وتلا هذه الأزمات والحروب الأزمة التشيكوسلوفاكية . وبعد محادثات اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على حل النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي عن طريق سلمي ، فعقد مؤتمر مونيخ وسلمت بريطانيا وفرنسا فيه بمطالب الهر هتلر ، وخرج زعيم ألمانيا منه منتصراً من غير حرب .

* * *

في مونيخ تم هدم ما بنت السياسة الفرنسية خلال العشرين سنة الفائتة . واتفاق مونيخ كان « ضربة الرحمة » (أي الضربة القاضية) لعصبة الأمم ولمبدأ الضمان المشترك . إذ في مونيخ مزقت تشيكوسلوفاكيا دون أن تعلم عصبة الأمم بذلك ، ودون أن يأتي أحد من حلفائها لنجدتها ، حتى أن والدتها وافقت على هذا التمزيق .

وتمزيق تشيكوسلوفاكيا كما أزال قوتها العسكرية والدولية . إذ خسرت تشيكوسلوفاكيا كيا ما يزيد على أربعة ملايين من سكانها وفقدت حصونها وقلاعها التي وضعت فيها قوتها وأموالها كما أنها فقدت أيضاً كثيراً من مواردها الاقتصادية ، وأصبحت تحت رحمة جارتها القوية .

أما نفوذها الدولي فقد زال ، لزوال مصادره ، إذ كانت تشيكوسلوفاكيا تستمد قوتها الدولية من تحالفها مع فرنسا والروسيا ودول التحالف الصغير . فجاء اتفاق مونيخ فألغى تحالفها مع فرنسا والروسيا ، وأبطل عملياً وجود التحالف الصغير . لأن دول هذا التحالف لم تأت بحركة قبل مؤتمر مونيخ للدلالة على وجود التحالف . وهي بالطبع لا تستطيع وضع تحالفها موضع العمل بعد اتفاق مونيخ الذي سلمت فيه الدول الكبرى لمشيئة الهر هتلر . فتحالفها هذا زالت أهميته عملياً ، ولم يبق له وجود في السياسة الدولية .

« للمقال بقية » **يوسف هيكل**

من الأدب الانجليزي

دفاع الشيخ عن عرضه

للكاتب الانجليزي سير جون وارد

للأستاذ محمد لطفي جمعة

جلس لورد آشلي أوف بلاكبوري كاسل وهيلدا بريكفيلد وارثة بارون أوف كليرمونت ، ينظران إلى الشفق ، وقد توارت الشمس بالحجاب ، وقد هبط عليهما وحى الحب ، وسرت فيهما نشوة الغرام، إذ رآهما الشفق ضحيتي لذة وصبوة ، وكان لكل منهما ما ذكره بماضي مباهج الحياة . وكانا مجتمعين خلسة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشلي ، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية ، ومناصرة الملك شارل على وليام أوف أورانج ، الذي غزا البلاد ، واغتصب العرش والتاج . وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام، فزعت واستيقظت من غفوة الهناء، على غير انتظار . وماذا رأت ؟ ويا هول ما رأت ! أي عينين هاتان البراقتان ؟ هاحقاً عينا أبيها البارون الشيخ نصير وليام أوف أورانج ، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء هاستنجز بالدماء ، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد ... ثم صرخت اللادى الشابة ناهضة وخرّت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح، وتوزعها الخوف والرجاء؛ وإنها على فرط حبها أباها لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفزع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يبغضه ويمقته ويتربص به الدوائر ، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء ، فثار لورد آشلي لصيحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار ، فتناول حسامه بأسرع من اللمح ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب. وكان البارون المسنّ والشيخ الهم لا يزال صامتاً ، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لنزاله ابتسم هازئاً وقال :

« إن بأذنى مسمع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية ، والسمر السمهرية ، فضع سيفك يافتى ، ولا تكن غراً أحمق ! »

وتشبثت اللادي هيلدا بآشلي وصاحت : « إنه أبي ... فاركع له معي ، لعله يغفر لنا ويصفح عنا — وكانت هذه علة رجائها — نعم ! ما أراه إلا فاعلاً ذلك ... نعم سيغفر لنا ويصفح عنا ... » ثم استدارت نحو الشيخ النبيل وقالت له :

— « أبتاه ! أخليق بك أن تجعل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً ؟ أخليق بك أن تدعَ الرعب يلاطم الأمل في فؤادي ، وتترك الريب يزاحم الثقة في قلبي ؟ أبتاه ! اصنع بابنتك ما تشاء واعف عن هذا الغلام ، فأنا التي أمّنته وشجعته على هذا اللقاء ! »

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف ، أصيد مهيباً ، وتور الجانب ، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواعي الحنان وعوامل الرحمة . وكان عدا ذلك المظهر قوى الصوت ، سديد النظر ، ساكن الأوصال — وهي علائم ضمير ليس بالساكن ولا الهادئ — وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها ، ثم التفت إلى آشلي وكان الدم في وجنة الفتى يذهب ويجيء ، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلبي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه . وكانوا جميعاً أشداء ذوى بأس وأسر متين

وقال البارون كرة أخرى: ضع سيفك ياغلام، فقال الفتى : لا! ما دام هذا الساعد مطلقاً ! فابيضت وجنة الشيخ ، لا رهبة ولا فزعاً ، ثم استخرج من نطاقه مسدساً فقال : « على رأسك إذن دمك ! » ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح ... وبعد ذلك أقبل يُهيئه للرمية القاضية . . . وكان لتلك التهيئة صليل يخشى وقعه في الأذن وهو نذير الردى . تهيأ الشيخ للإطلاق، ولو أطلق لوقف شيئين معاً: حياة اللورد الشاب عاشق كريمته، ويراعة المؤرخ، كاتب هذه الأسطر[1]، ولختم شيئين معاً: عمر الفتى وقصتنا التاريخية ، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامةً وأصعب شكيمة ، ألقت بنفسها دون الغلام وصاحت :

(١) أي المؤلف سير جون وارد

« إذن إلى كبدى فلتسددن سهمك أو قذيفتك النارية ، فتلتق جذوتان![1] . فإنها خطيئتي لا خطيئته ، وما كان مجيئه هذا القصر عمداً ، وإنما طوح به إليه القدر ، بعد المعركة التي خرجت منها ظافراً ، وأوردته صروف الزمان . وقد أعطيته ذمتى وعهدى ، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة . وإنى لأحبه فوق ذلك ، وأفديه بنفسي وأقيه بمهجتي ... إننى يا والدى أعرف صرامتك ، وأردت أن أعرفك صرامة ابنتك ، وإن وراثتنا لا تكذب ، والدم الذى يجرى فى عروقك وعروق لا يخون ! »

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها رحمة ورقة ولين وطفولة بريئة ونعومة طاهرة ، ساجية الطرف ، خافقة الأحشاء ، فإذا هى كلها جرأة وإقدام ، راسخة الوطأة ، سامية النظر ، كأنها قدت من الصخر الأصم أو هى الطود الأشم !

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة ، فأتلعت وتطاولت تعالياً وخيلاء ... وصادمت لحاظ أبيها من لحظاتها بما هو أشد وأقسى ، ولكنها لم تمد يداً لمنع الشيخ مما ظل يحاول ، لأنها لم تخف عادية الردى ، كأنها ترتاح لطارق الموت وتهش للأجل المتاح ، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر . فما كان أعجب قرب الشبه بينهما ، يا لهما من أسد وفلذة كبده !

وتوقف البارون برهة ، ثم رد سلاحه إلى نطاقه ، ولكنه وقف يقذفها بنظراته كأنما يريد أن يفضى ببصره إلى مخبآت ضميرها ثم قال :

ما أنا[2] من أراد بهذا الغلام سوءاً ، وما أنا من جلب ما قد ترينه الآن من الشر والأذى ، وقد يندر من يصاب بمثل ما نالنى من انتهاك الحرمة والغدر فلا يسفك دماً ولا يزهق نفساً بيد أنى سأفعل الواجب وإن أخللت أنت به وأشأت أداءه . فليلقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض تثب وتتدحرج وتصبغ الصخر باللون القرمزى[3]

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفخ فيه ، وإذا ببوق يجيبه من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً يعدون مسرعين على رأسهم قائد وصاح البارون « اقبضوا على الغلام أو اذبحوه .

(١) جذوة كبدها ونار الرصاص .
(٢) فى الأصل Not I Who
(٣) لون الدم

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأسرع من لمح البصر وحال الجند بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تتملص من قبضة أبيها . وكيف وقد كان التفاف ذراعيه حولها كالتفافة الأفعوان؟ وشد الجند على لورد آشلى شدة فارس واحد . ولكن آشلى حمل بالسيف على أولهم فشق كتفه وألقاه يتخبط فى دمه ، وعلى الثانى فشج وجنته . أما الثالث وكان سيافا حاذقا فقد جعل يروغ من ضربات قرنه اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح دماء من طعنتين إحداهما فى الذراع والثانية فى الرأس ، ثم غلّوه حيث خرّ وأخذوه من الحجرة وأومأ لهم البارون الموتورأن امضوا به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتبحر فأودعوه زورقاً وأعملوا المجاذيف حتى بلغوا السفن ، وكانت منضودة صفاً فوضعوه فى إحداها . أما الفتاة بعد أن رأت حبيبها جريحا أسيراً ، فقد غشى عليها ، وما زالت فى ذبول ونحول اثنتى عشرة ليلة ثم أسلمت الروح بلا أنّة ولا زفرة .

محمد لطفى جمعه

فى الأقصــــر

للآنسة الفاضــلة « الزهرة »

لا أظننى أسترسل فى عزة تأخذنى بالبـاطل إذا قلت : إن الأقصر يجب أن تعد بحق فى طليعة المشاتى العالمية العظمى ، فسماؤها دائمة الزرقة ، وشمسها الساطعة التى تضفى على الأجسام أبراد الصحة والحياة ، ونسماتها المنعشة المحيية ، وزروعها الخضراء التى لا يكفى الخريف نضرتها بصفرته الذابلة ، ونيلها السعيد المنساب فى أحشائها يوزع عليها هدايا الخصب والبركة ، ووادبها الحافل بمقابر الملوك والملكات والأمراء والنبلاء ، ومقابرها التذكارية التى تجلى الانسانية فى مثلهـا العليا ومبادئها السـامية ، وأطلال هياكلها الأثرية ، بل قصورها الخالدة التى تقوم إلى اليوم وسط مبانيها الفخمة والمتواضعة ، وتتيح لها اتخاذ اسمها الحاضر الأقصر (القصور) — كل هذا أو بعض هذا يجعلها محط رجال أهل الفضل والثقافة والنبل ، يسعون إليها من مختلف الأقطار على أخف من جناح الطير . ولقد تسنى لى فى الأسبوع الماضى أن أتعرف إلى نخبة من هؤلاء الأعلام ، وأن أضع جانباً من وقتى واهتمامى بين يدى فتاة غربية نابهة تعنى بدراسة أحوال هذه البلاد وتتغنى بأمجاد تاريخها وبدائعها ... على أن أروع الصور وأوقعها فى النفوس لا تكاد تستغنى فى استتمام جلالها عن الظلال القاتمة والألوان الغدافية ، التى تمس أوتار الألم المتنبهة أبداً فينا ، فقد عرض لى أثناء تجوالى مع هذه الرفيقة الفضلى ما ضاقت له نفسى ، من شؤون دعتنى إلى تحريك قلمى اليوم للفت نظر من بيدهم الأمر رجاء معالجتها استكمالاً لأسباب المجد الجدير بهذا المشتى عرض الأثرى الخالد كيلا يشيح عنه قاصدوه ، ويروا أن ما عانوه فى سبيل الوصول إليه كان ضرباً من العبث المبين والجهد المستطير ، وتنزيهاً لنا عن الانحطاط الذى رسخت نسبته إلينا فى أذهان أهل الغرب ولا يصح أن نبق فيه متورطين ، ولا سيما بعد أن أبدت صاحبتى إعجابها بمظاهرنا كلها التى تشهد بأننا قوم غمسنا فى الترف ، وحظينا بالنعم ، ونهجنا الصراط السوى فى التضامن والتكافل والكرم ، بفضل ما تدره علينا بلادنا الخصبة . وقد سألتنى يوماً عن أحياء الرعاع عندنا : هل فيها من مظاهر العوز ما تطير لمرآه القلوب ، ويرسل فى نواحى النفس جميعها لدغاً مؤلماً مسرفاً فى الإيلام ؟ فلم أخف عنها أن بالأقصر أحياء فقيرة كغيرها من بلاد الله، وإن كنت قد ذكرت لها أنها لا تخلو من جماعات أهلية وحكومية ، تنظم الخير ، وترعى المعوزين ، وتعلم صغارهم تعليما إلزامياً وصناعياً بالمجان ؛ وذكرت لها فى غير تبجح ، أن قلوب أهل هـذه الربوع الوادعة التى لا تزال محتفظة بغرارة الفطرة السمحة المتآخية هى منازل للرحمة ومواطن للسخاء . ثم سألتنى عن التسول وعما إذا كان مباحاً، فوجمتُ وقد أسرع إلينا أصحاب الأجسام المشوهة ، والعيون الذابلة القذرة ، والثياب الرثة المهلهلة . وأشهد الحق أنى ما كدت أراهم حتى ذبت خجلاً ، إذ كانت العربة قد وقفت بنا فى تلك اللحظة أمام معبد الأقصر الأزلى ، القائم على شاطئ النيل فى أجمل أحياء المدينة وأغناها ؛ وغضضت بصرى وخشيت أن أرفعه نحو صاحبتى وهى لا ترى تجاه العظمة الماثلة أمام أعيننا ، سوى تلك الأيدى الممتدة بذل السؤال لتنقض ما شاهده القوم من مكرمات . ولو كنتُ من أرباب السيادة والسلطان لاتخذتُ كل الطرق الفعالة للقضاء على التكفف، ولكن قلة عدتى تضيق على دائرة نفوذى، وإن كانت لا تمنعنى التوجه إلى أولى الشأن بالحاحى أن تعزز القوات لمعاونة أولئك الشحاذين المساكين ، فإنا لو ذكرنا أن رقى المجموع إنما يحسب بقدر تعدد مطالب الفرد ، لرأينا أننا أبعد الأمم عن الرقى الصحيح . ولا ينتشر التسول فى محيط إلا كان دليلاً على أثرة الأقوياء الأثرياء ، ومقياساً لخسة مطالب الفقراء التى لا تتعدى ما تجد العجاوات فى طلابه لسد الرمق . وإنها لإحدى الكبر أن يسجل أهل بلدى المطوفون الأسخياء على ذواتهم ما تستتبعه غفلة إهمالهم ، وهذه طلائعه تظهر فى الجهة الواحدة بؤساً وفناء وتقلصاً وتهديماً ، وفى الجهة الأخرى نمواً وازدهاراً وانبساطاً فى رحاب النعم ؛ فلا يكمل سناء هذا إلا باستكمال تضاؤل تلك

ثراء وبؤس كيف يلتقيان؟ مقيلاها فى القلب مختلفان

فليسمحوا لى أن أنبههم إلى تدارك هـذا الأمر الخطير ، وليعلموا أنى بالحاحى فى وجوب السهر على منع الشحاذين من الانتشار فى أحياء المدينة لا أبغى أن يحرموا عطفاً يخولهم إياه

يؤسهم . وبأى حق يحرمونه والأزمة عضود ، والأيام جديبة ، وأولئك الفلوكون أحوج للعون وأجدر بالمساعدة ؟ ولكنى أرجو أن يتوسلوا إلى ذلك برشاد الرأى واستخدامه لوضع كل شىء فى موضعه . وليعلموا أن خير وجوه الإحسان زيادة البذل من المال فى سبيل تخفيف الألم العام وتنمية روح الحق والصلاح والتهذيب، وتوجيه النفوس إلى حياة العزة والكرامة ، فلا تعيش للكسل والخول اتكالا على كرم المحسنين

هذا ولا بدّ لى هنا من الإشارة إلى ما حدث فى اليوم التالى حين رافقت صاحبتى إلى « وادى الملوك » فقد تجمهر حولنا صغار السائلين المتفين وتتبعوا خطواتنا ، وكادوا يلزموننا أن نعطيهم شيئاً من النقود . ولعمر الحق أن دموعى تنهمر غزيرة إذ أذكر أولئك الأطفال المحرومين متاع الطفولة المقيمين فى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الجهل ، ويقطن الذل فى جوار القنوط ، الذين يعيشون على الجانب الأيسر من النيل ، فى تلك الأكواخ الحقيرة ، المنثورة حول مدافن الملوك الغر الميامين ، كجراح عميقة فى جسم كياننا الاقتصادى والعمرانى ، ويموتون مهملين . لهف قلبى على تلك الزهرات الأنيسة التى تذبل فى ظلام الحاجة والجوع والإهمال ! ونحن نمرّ بها على الجانب الأيمن ، الجانب المعمور بمدارسه دون أن نعيرهم التفاتاً . ومَنْ ذا الذى يَسْتطيع أن يدرك كنه القوى الكامنة فيهم ، التى لا تدركها النجدة والثقافة لتبرزها إلى الوجود عظمة ومجداً وفضلاً ونبلاً

إن أيديهم التى تبسط اليوم فى ذل السؤال ، ستبسط فى الغد للسطو والنهب ، إذا لم يسعفها التهذيب الصحيح ، ويجعلها أمينة للغد ، نشيطة عاملة لرقى البلاد . ولقد جابهتنى صاحبتى ببؤس هؤلاء الصغار ، وتدفقت فى الدفاع عن حقوقهم ، ودهشت كيف تتقاعد الحكومة عن رعايتهم اللازمة ، وقالت : إن الأطفال فى جميع بلاد الله يقطعون مرحلة التعليم الأولى مجاناً ، ولو ذهبت تلك البلاد فى أحضان العزلة والريف . وإنى وإن كنت أضم صوتى إلى صوتها فى وضع احتياج أولئك الصغار أمام من بيدهم الأمر ، لا أقصد رجال الحكومة فقط . ومن السفه أن نوجه نظرنا إلى الحكومة فى كل شىء ، ونطلب منها أن تخلق خلقاً جديداً . وليس من شأن الحكومات أن تفسح للناس القادرين سبل العمل ، فيسعون بكل وسيلة صحيحة لرفع الصغار والفقراء ، إلى مستوى يتعاضد فيه الجميع ويتناشدون ، متعاونين على حب الحياة ، ومراعاة المنفعة العامة

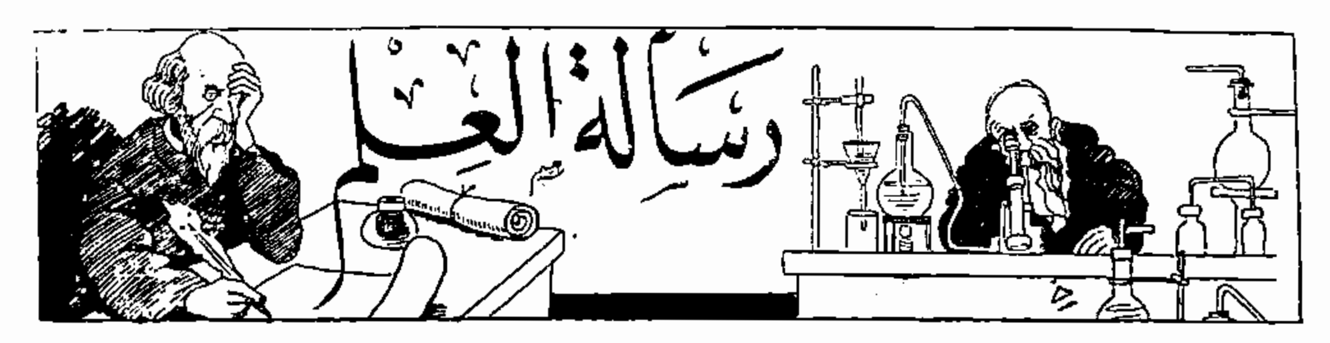
بقى أنى لا أستطيع أن أختم كلمتى اليوم قبل أن أضمنها أمرين تفزعت لهما صاحبتى . أولهما الصياح الذى اختص به باعة التحف الحديثة التى يصوغونها على طراز العاديات الأثرية ، وإلحاحهم فى عرضها علينا ، وإمعانهم فى إظهار ما كانوا يظنونه فى أنفسهم من القدرة على أن يبتزوا منا ثمنها ...

أما الأمر الثانى فالقسوة التى يبديها بعض حوذية المركبات فى إعنات خيلهم وانهيالهم عليها بسياطهم ، حتى لقد حسبت أن بلدنا ينقصها فرع لجمعية الرفق بالحيوان ، وسألتنى إن كانت الحكومة تشرف على أعمال هذه الجمعية ، فأجبتها بالإيجاب ، ودللتها على المكان الذى تدار فيه شؤونها ، وعلى مناهل الماء التى أعدتها لتخفيف وطأة الظمأ على السائمة وتكليف رجال البوليس بحمايتها من القساة الذين لا يكثر وجودهم بين الزارعين المرابعين المشهورين بعطفهم على ماشيتهم ، وتعلقهم بها تعلق الوالد بأولاده المحبوبين .

فسرى عنها وقالت وفى عينيها بريق اللجاجة والحنان : « ولكن رجائى إليك أن تحمى رجال البوليس للتشديد على الحوذية الذين يضربون خيولهم العزيزة المسكينة بغير مسوغ » .

وإنى لعلى ثقة بأن الخير الذى وعدتها به ستحققه همة أولى الشأن من الحازمين

الزهرة



العــــالم اليــــوم

للدكتور محمد محمود غالى

تقدم الرسالة إلى قرائها الدكتور محمد محمود غالى محررها العلمى ، وهو يحمل ألقابا شتى فى الطبيعة والرياضة ، أهمها دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية بأعلى درجات الشرف من السوربون، وهي أسمى ألقاب الامتياز العلمية التى تمنحها جامعة باريس . وهذه الدرجة لكلية العلوم كالاجريجاسيون لكلية الحقوق ؛ والدكتور غالى أول مصرى نال هذه الدرجة . وله أبحاث قيمة أنفقت عليها السوربون ومعهد باستور مبالغ طائلة ، ولعلنا نعود إلى شرحها فى فرصة أخرى . وهو يرسم إلى قرائه فى مقال هذا العدد النهاج الذى سيسير عليه فى عرض الحقائق العلمية والتطورات الفكرية . والرسالة وقراؤها يغتبطون كل الاغتباط بانضمام هذه الثروة العلمية العظيمة إلى ثرواتها الأخرى التى تنتجها العقول الجبارة فى كل باب .
(المحرر)

يا ترى هل نستطيع أن نرجع بخيالنا إلى أول عهود الإنسان لنتصوره فى حالته الفطرية وحياته البدائية ؟ — إن القردة اليوم لا تحاول فى غاباتها أن توقد ناراً ، وهى مع ذلك تتناسل وتستنشق الهواء الصافى وتمرح بين الغدران والجداول تطفئ ظمأها، وتختار من صنوف الطعام ما يشبع جوعها ، ومع ذلك فإن لنا أن نتصور أننا كنا مخلوقات لا تفوقها فى الإدراك ولا تزيد عليها فى المعرفة.

ومهما رجعنا إلى التاريخ المنقوش على الحجر الصلد أو المسطور على أوراق البردى، فمن البدهى أننا لا نصل إلى تحديد الزمن أو الحالة التى كان عليها هذا الإنسان البعيد ، بل نصل إلى تاريخ قريب لا يتجاوز مائة من القرون ، فنرى إنساناً قديماً فى مداركه عريقاً فى معارفه ، وأن الطوبة وقد اخترعها أمحوتب مهندس زوسر بانى هرم سقارة (إذا كان هو مخترعها حقاً) تدعو للإعجاب . وكيف لا نعجب له حين عرف أن يشيد من اللبن أو الحجارة أشكالاً منتظمة وأشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع فيها كل هندسة أقليدس ؛ أشكالاً استعملها فى بناء سقيفة من الطوب أو حجرة تقيه الشمس إذا اشتدت ، والبرد إذا قرس ، والمطر إذا انهمر

إذا رجعنا بالخيال إلى هذا الحد ، ووصلنا بالتفكير فى هذا النوع من الإنسان مهما بعد فى الزمن ، نستطيع أن نعتبر أن اكتشافه للنار واستعماله إياها كان خطوة واسعة فى سبيل تغيره وتقدمه ككائن بات يختلف يوماً بعد يوم عن الحيوان ؛ فهو إن شابهه فى أنه مخلوق له جسم يقاربه وحواس تشبهه ، يولد ويعيش ويموت، ولكنه يمتاز عنه بشيء كثير من الروية والاستفادة بتفكيره

إذا رجعنا بخيالنا إلى هذا الذى علمنا أن اكتشافه هذا كان خطوة هامة فى سبيل المدنية ومقدمة لسلسلة من الاكتشافات التى نعتبرها اليوم ميراثنا العلمى ، هذا الميراث الذى ساعد اختراع المصريين للكتابة على الإفادة منه على ممر السنين، والذى تضخم باختراع الأوربيين للطباعة حديثاً والصينيين قديماً حتى بلغ العلم من الاتساع والتقدم حداً أصبح من الصعب معه على كائن أن يستوعب ناحية واحدة منه ، هذا الميراث العلمى عظيم إلى درجة يبعد معها أن تقضى عليه الحروب بين البشر

لقد حاولنا فى السنين الأخيرة أن نستعرض هذا الميراث العلمى وندرس نواحيه ونقف على ما حدث فيه من تطورات لنعرف مداها ونستخلص المهم فيها ونستنتج من تتبع هذه النواحى شيئاً عن آمالنا فى المستقبل، ولعل هناك أمراً واضحاً نتفق عليه وهو الدور الخطير الذى لعبته العلوم الطبيعية فى التطور نحو النور والمعرفة؛ فبينما سارت العلوم الزراعية والجيولوجية والطبية والبيولوجية وغيرها بخطوات متزنة معقولة ، إذ بالعلوم الطبيعية قد طفرت فى نصف القرن الأخير طفرات جديرة بالإعجاب . ولو أن أحد أسلافنا دبت فيه الحياة مرة أخرى فدخل أحد منازلنا فربما لا يبلغ تعجبه

من تنسيق حديقة المنزل أو ما به من أثاث كما لا يعجب مثلاً بنوع الفاكهة التي تقدم إليه ، بقدر تعجبه من الراديو أو التليفزيون لأن تميل الزهرة إلى الحمرة أو الخضرة ، وأن يكون لها العبير الذي نعرفه أو لا يكون ، فلا يخرجها كثيرا عن عهده بها

ولأن يكون المقعد من الخشب أو معدن الكروم أو من الحجارة أو من المواد الجديدة في الصناعة التي تشبه الزجاج وتفوقه بقابليتها للانحناء والالتواء لا يخرج لنا في النهاية سوى مقعد للجلوس قد لا يفوق مقعد توت عنخ أمون الذي يشعر نفوسنا حين نراه الآن في المتحف المصري بما كان يشعر به النفوس منذ آلاف السنين من التنسيق والجمال والجلال

أما أن ننتقل من مصابيح النفط والشمع إلى الكهرباء ، ومن الخيل والحمير إلى القطار ، ومن القطار إلى السيارة — أما أن تعلونا طائرة ونسمع في مصر أوبرا من فينا وموسيقى من باريس ، أما أن نرى قريباً ونحن في القاهرة شقيقاً بالأسكندرية أو بأقاصي الصعيد فإن هذا يدعو إلى الدهشة ويدفع بنا للتأمل

هذه الخطوات وغيرها نتيجة للعلوم الطبيعية التي بدأت في الماضي عهداً مجيداً باكتشاف النار ، وفي الحاضر عهداً جديداً باكتشاف تهدم المادة (Desintearation) وتحولها إلى طاقة أو إشعاع

وإنما نوهت بهذين الأمرين : اكتشاف النار قديماً ، وتهدم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض حديثاً ، لأني أريد أن ألفت النظر إلى أن اكتشاف بكارل في سنة ١٨٩٦ لخواص الإرانيوم الإشعاعية ، واكتشاف مدام كوري وقرينها بيير كيري في سنة ١٨٩٨ لخواص الراديوم ، يعدان اليوم في التفكير الحديث خطوة لها من الأهمية بالنسبة للانسان القادم ما لاكتشاف النار للانسان الأول ومعرفته لاستعمالها .

وعند ما يتاح للبشر الانتفاع أكثر مما ينتفع اليوم بالظواهر الجديدة الخاصة بتهدم المادة يتغير استعمالنا للأشياء ، فلا يقتصر استعمالنا للخشب أو الحديد على صنع المقاعد أو بناء القناطر بل يتعدى ذلك بكثير ، وعندئذ يظل اسما بكارل وكوري على رأس المهد الجديد مثلا أعلى في أقصى ما وصل إليه الإنسان في المعرفة .

هذه المقدمة تبين للقارئ شيئاً عن اتجاه الكلمات التي تتفضل الرسالة بنشرها لي في هذا العام ، فهي ستتناول ناحية العلوم الطبيعية واتصالها بالتفكير والتقدم . وقد وقعت أول الأمر في نوع من الحيرة ، بخصوص اختيار الطريق الذي أسلكه لأجتذب عدداً كبيراً من أهل الشرق إلى تتبع هذه الكلمات ، عسى أن يجدوا فيها شيئاً من الفائدة والتجديد ، وللقيام بهذه المهمة طريقان . إما أن نتكلم عن الاتجاهات العلمية الحديثة التي سيكون لها أثر في أعمال الإنسان ، وأعني بها الاتجاهات الطبيعية والفلسفية ؛ وإما أن نتكلم عن النتائج الفعلية والعملية التي كانت نتيجة للاتجاهات العلمية الجديدة . ولا شك أنه حسب اختيار إحدى الطريقتين يتغير كلية نوع الأحاديث . ولقد انتهيت إلى ضرورة التحدث في الأمرين معاً ، فتراني في الوقت الذي أصبحت النظريات الطبيعية الحديثة تمشي بخطوات سريعة ، وتسيطر على شتى العلوم والمعارف ، أصور في هذه الكلمات الموجزة أهم هذه الحوادث ، وأصف — حسب فهمي — الكون الذي نعيش فيه ، وأقدم لتناول قراء العربية تقريراً عن المهم من الوقائع العلمية الحديثة ، مستعرضاً الحقائق الرئيسية في العلوم الطبيعية وما يتصل بها من الانتصارات التي قلبت اليوم أوضاع العلم والمعرفة

وفي الوقت الذي أطمع فيه أن أستعرض من صورة العالم معالمه الرئيسية أرجو أن يسمح لي بذكر كلمة عن غرضي ، وعن الفكرة التي أوحت إلى بهذه المقالات ، وعن الخطة التي سأتبعها لكي نتصل معاً بأهم ما يشغل العلماء اليوم

إن الأبحاث العلمية وما يتم فيها كل يوم لا يمكن أن تكون موضع عناية الناس عامة كما يعنى بها العلماء الذين يهبون أوقاتهم للبحث العلمي . فالعالم يعنيه ما يستجد كل يوم من إضافة ، إذ أن هذه الاضافة يتوقف عليها توجيه الأعمال التي يرجو الوصول إلى نتائج جديدة فيها . أما الآخرون فإن أوقاتهم مقسمة طول اليوم بين عملهم البعيد جدا عن المسائل العلمية ، وبين فترات من الراحة لتجديد نشاطهم في المنزل بين ذويهم أو في الخارج بين إخوانهم . فالطالب في كليته ، والمدرس في مدرسته ، والعامل بين الدينامو والموتور في مصنعه ، والمحامي بين المحكمة ومكتبه ، وساعي البريد انتهى من عمله وخلع محفظته والموظف والتاجر والضابط والقاضي وكل أصحاب الأعمال والمهن يصعب عليهم أن يجدوا متسعاً

من الوقت لتتبع الحوادث العلمية وما يجد فى طياتها من تغييرات .

ماذا يقدم العلم لهؤلاء الذين تعتصهم الأعمال المادية حتى يصبحوا جزءاً منها ، والذين لم تواتهم الفرصة للتعود على التفكير العلمي الحديث وتنسم أخباره ؟

فى كل هؤلاء فكرت وتساءلت : هل نستطيع أن نعبّد لهم سبيل الارتياح لهذه العلوم ؟ وهل من الممكن أن نشرح نظاماً مثل الذى أصبحت عليه العلوم الطبيعية الحديثة ؟ هذه العلوم الغارقة فى الرموز الرياضية التى بلغ التوسع والتسلسل فيها مبلغاً أصبح معه تتبعها عسيراً حتى على الاخصائيين ؟ هل من السهل تبسيط العلوم الطبيعية التى أصبحت اليوم المفتاح لمعظم التطورات العلمية وما يتصل بها من توجيه جديد لفكر البشر ؟ هل من الجائز أن نشرح هذا لاخواننا الشرقيين فى سلسلة مقالات بالرسالة فنشترك معا فى أعظم ما وصل إليه الإنسان ؟ إنى لأرجو أن يكون النجاح حليفى فى ذلك ؛ وإنى لأشعر بشيء من السعادة والحماسة فى القيام به

أولا : لأننى أميل لهذا النوع من الدراسة الخاصة بالعلوم فمن الطبيعى أن أستطيع أن أحمل فريقاً كبيراً من القراء ليتتبعوها ويميلوا إليها

ثانياً : إننى سعيد أن أوفر على القارئ عناء كبيراً فى مطالعة موضوع بات من أصعب الموضوعات العلمية وباتت رموزه للشخص غير المشتغل بهذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لا يعرفها

ثالثاً : إن تمرين الفكر على مسائل صعبة وتتبع هذا النوع من التبسيط له أثر آخر فى تكييف حياة الإنسان وتفكيره فى المسائل الأخرى التى لا تتصل بالعلم وتتصل بحياة الفردية

رابعاً : إننى بذكر بعض التطبيقات العملية للعلوم الطبيعية قد أفيد الكثير ممن يلجأون لهذه التطبيقات لمنفعتهم الشخصية . خذ مثلاً ما يمكن أن تحدثه العين الكهربائية اليوم من التفنن فى وسائل الإعلانات التجارية مما لم يطبق لهذه الأغراض فى مصر ولا يعرفه أصحاب المحلات التجارية حتى الآن فى الشرق عامة ...

خامساً : إننى قد أصل إلى حمل بعض المشتغلين بالعلوم القديمة وبالطرق العتيقة على العدول عن طرائقهم؛ مثال ذلك أولئك الذين يضيعون أوقاتهم سدى فى طلب تحويل الرصاص إلى ذهب والذين يؤملون مثلاً إيجاد نوع من الحركة الدائمة

أما غايتى الأساسية فهى الثقافة العامة . غايتى أن أجعل من التفكير فى ناحية الفلسفة الطبيعية تأثيراً فى حياة الناس الخاصة ، أجعلك تقف على علوم أنت لا تعرفها وليس من السهل بمفردك أن تعرفها، ولا تكفيك السنون الطويلة الباقية من العمر لتستوعبها ، أجعلك تتعلق بمسائل غريبة عنك فلا تجدها صعبة عليك كما تجدها اليوم ؛ أوفر عليك الوقت فى أمور أصبحت أهم أمور العالم العلمى فأصبحت بهذا لازمة لك ؛ أزيد فى ثقافتك وذهنك وقدرتك على فهم العالم الذى يحيط بك

محمد محمود غالى

(الرسالة) جاء مقال الدكتور الأول في ست صفحات فاضطررنا إلى تأجيل نصفه إلى العدد القادم



تاريخ الفــــن

للدكتور احمد موسى

— ١ —

لم يقتصر مجهود الجامعات والعلماء على تسجيل الحضارات عن طريق كتب التاريخ القديمة والحديثة بل وجدوا أنه لا بد لهم من الاستعانة بالإنتاج الفني فى مختلف العصور ، إذ أنه المرآة الصادقة التى بها يمكن الوصول إلى نتائج حاسمة فى تاريخ الحضارات والمدنيـات

ولذلك كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لتطوره على أساس التاريخ العام مع مراعاة أصول علوم أخرى أهمها علم الآثار Archaeologie وعلم قراءة المخطوطات والنقوش القديمة Balaeographie وفن الدراهم والمسكوكات Numismatik وعلم وصف التماثيل والأيقونات القديمة Phonographie وفن علامات وإشارات الأنساب القديمة Horaldik وغير ذلك مما لا يستند فقط إلى السرد أو التاريخ الذى قد يكون متحيزاً أحيـاناً إلى مبادئ معينة أو غايات مقصودة حيث تدعو الحاجة إلى صبغه بصبغة قومية أو سياسية بذاتها ، مما لا يفطن إليه إلا العارف الباحث فى أصوله

وإذا كان المسلك العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى قديم ومتوسط وحديث ؛ فإن تأريخ الفن يرجع إلى نفس القاعدة رجوعاً كاملاً ، لما لها من فائدة التبسيط وإيجاد الرابطة بين التاريخ العام وتاريخ الفن

ويتناول تاريخ الفن القديم استعراض فن البناء (العمارة) وفن التمثيل (النحت) وفن الصناعات الدقيقة (الحلى وأدوات الزينة الرفيعة) استعراضاً يرجع فى أساسه إلى التقسيم الجغرافى فيأخذ فن كل قطر على حدة ويتبع فى ذلك أقدمية الحضارة .

وعليه فأول الفنون جميعاً الفن المصرى ويليه البابلى الآشورى والفارسى والهندى والصينى. هذا فى الشرق الأدنى والأقصى . ثم يأتى بعد ذلك الفن الإغريقى الهائل[١] ثم الفن الأتروسكى[٢] والفن الرومانى والفن الإسكندرى

أما تاريخ الفن المتوسط فيتناول الفن المسيحى القديم والفن البيزنطى الذى كان له أثر ملحوظ فى كل البلاد الأوربية المتمدينة التى وجد فيها أثر للفن الرومانى والقوطى

هذا إلى جانب ناحية هامة فى تاريخ الفن المتوسط وهى ناحية الفن الإسلامى الذى ظهر فى أقطار متباينة وكان ولا يزال محافظاً على طابعه المميز

أما تاريخ الفن الحديث فهو كثير التشعب صعب التقسيم لتقارب الشعوب واتصالها الذى ترتب عليه انتقال الثقافة من أمة إلى أخرى وتأثير مدنية فى غيرها، ولاسيا فى الفن الألمانى فى عهد النهضة من أوله إلى آخره (القرن الرابع عشر (إيطاليا) والخامس عشر والسادس عشر) وما كان للفن فى تلك المرحلة من طرز مختلفة الوضع متشابهة الروح كما أن انقسام الفن إلى باروك Barock وإلى روكوك Rokok كان له أثره الهام فى الفن الحديث .

والإنتاج الفنى بعدئذ هو ما يمكن تسميته بالفن المعاصر

---

(١) راجع فى ذلك كله مجلدات الرسالة للسنة الرابعة والخامسة فقد بسطنا هنالك الكلام ووفينا البحث

(٢) الفن الأتروسكى هو فن الشعب الذي استوطن شمال ووسط إيطاليا قديما ، وقد ظهر هذا الفن حوالى عام ١٠٠٠ ق . م وازدهر بين القرنين الثامن والرابع ق . م

أو إن شئت فقل هو الفن الذى أدى إلى ما نلمسه الآن من الفنون المعاصرة ، سواء ما كان منها مدرسياً أو سائراً على الأسس المدرسية ، وسواء ما كان منها متجهاً إلى ما يسمونه الفن الرمزى والفن الوصفى والطابعى والاقتباسى .

وكان التقسيم المتبع فى الفن الفرنسى والفن الإنجليزى هو أن ينظر إليهما تبعاً للمراحل التى مرا بها، ومميزات كل مرحلة منذ القرن السادس عشر؛ ولاسيما أن هذه المراحل كانت تسمى بأسماء الملوك والحاكمين ، وهذه ظاهرة اختص بها هذان الفنان دون غيرهما.

وإلى جانب هذه الفنون الحديثة فنون شرقية حديثة أيضاً سارت فى طريقها بعض الشئ وتطورت تطوراً مخالفاً لسابق فنونها ، ولكنها مع هذا ظلت محافظة على طابعها الشرقى المميز . هذه الفنون هى الفن الهندى والفن اليابانى والفن الصينى ، التى لم يكن المؤرخ الفنى يُعنى بدراستها دراسة علمية إلا فى العصر الحالى

أما مهمة تأريخ الفن نحو هذه الفنون جميعاً فهى تكاد تكون نفس الدراسة المرتكزة على قواعد مشابهة لتلك التى اتبعت فى تأريخ الأدب فى العصر الأخير . وبذلك أصبح التأريخ الفنى والنقد الفنى والتسجيل الفنى علوماً قائمة بذاتها لها أصولها وقواعدها .

ولتاريخ الفن قصته ككل علم آخر . فقد شملت كتب القدماء ما يهم المؤرخ الفنى إلى حد كبير ، فكتاب التاريخ الطبيعى لبلينيوس[1] Plinius وكتاب الرحلة لبوزانياس[2] Pausanias اشتملا على بيانات وإيضاحات كثيرة وأوصاف مسهبة عن الفن فى العصر القديم ، ولكنها كانت أقرب إلى مجرد الرد مع اشتمالها على أسماء الفنانين ووصف ماتم عمله على أيديهم دون نقد فنى

(١) بلينيوس الكبير للتفرقة بينه وبين ابن أخته : كاتب رومانى ولد سنة ١٣ بعد المسيح فى كرمون ومات سنة ٧٩ عند ثورة بركان فيزوف وكل ما ألفه فى التاريخ والبلاغة والأجرومية نفد . ولم يبق له سوى كتاب على هيئة دائرة معارف فى ٣٧ جزءاً Historia Naturalis ويشتمل على معلومات مستقاة من كثير من كتب الاغريق واللاتين فى التاريخ الطبيعى وفي غيره من المعلومات التى تهم المشتغلين بالعلم .

وهو إلى جانب ما فى كتبه من الفوائد الماثلة يعد المرجع القديم فى تاريخ الفن — راجع Kalkwann Die Quellen der Vunstgeschichte des Plinius Berlin 1898

(٢) بوزانياس الكاتب الاغريقى من مغنيسيا بآسيا الصغرى سافر أيام هدريان والأنطونيين إلى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وليبيا وإيطاليا وألف كتابه الشامل لعشرة أجزاء بين سنة ١٦٠ — ١٨٠ بعد المسيح لجزء من هذه الرحلة Periegesis Hellados

وأهم ما كتب فى هذه الكتب وصف القطع الفنية الرائعة وهو إلى جانب بلينيوس أهم من كتب عن الفن — راجع Siebelis und Reichardt, Puasanias 9 Vols., Stuttgart 1827-28

أو دراسة ذات غاية ، كما خلت من بيان شاف لتطور الفن فى أية مدرسة أو مرحلة زمنية معينة .

ولوحظ أن هذا المسلك فى التأليف كان الغالب أيضاً فى العصر المتوسط ، فكل ما كتب فى شأن الفن وتأريخه لم يخرج عن وصف عام للمبانى الرائعة وما استنفده تشييدها من مجهود .

أما التأريخ الفنى بمعناه الحديث فلم يكن ميسوراً لأولئك ولا لهؤلاء بحال . ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود الفردية تظهر فى الأفق رويداً رويداً، ولا سيما بعد ما التفت المسافرون الراغبون فى المشاهدة والمعرفة ، وكذلك غيرهم ممن اشتغل بدرس اللغات القديمة ، إلى وجوب معرفة آثار الأقدمين والغاية من إقامتها وما تدل عليه وعلاقتها بالحضارة ، واتخاذها وسائل قيمة للتدليل على اتجاه معين فى الدرس والفحص

هنا بدأ تاريخ الفن فى الظهور والتطور العلمى . وكان أول أثر لذلك هو إيضاح ما كتبه الأقدمون وما تدل عليه كتاباتهم عن الآثار التى لم يكن الكثير منها موجوداً حيث كان القدم والإهمال وعدم الرعاية والتغيرات الجوية والمدنية قد طغى كل هذا على معظمها فكانت أثراً بعد عين

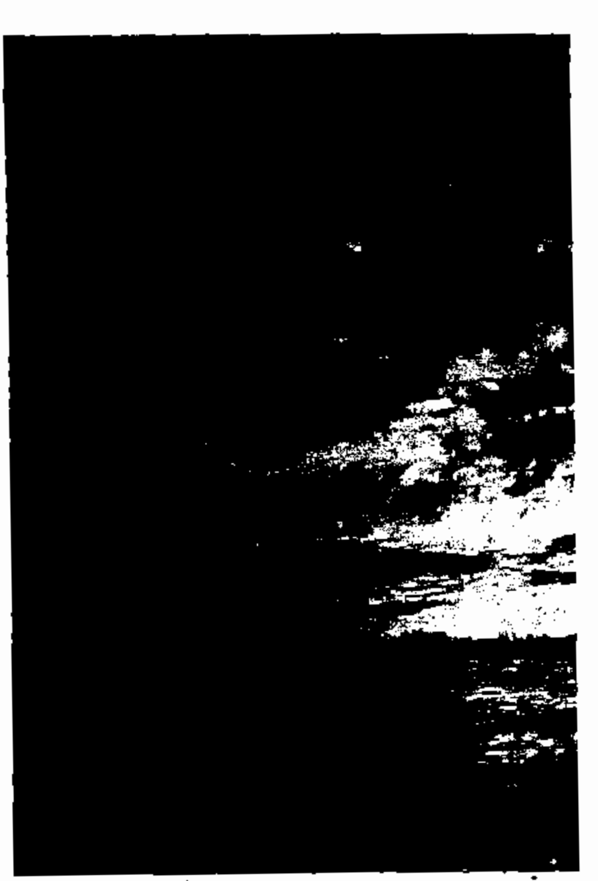
فاشتغل فريق من علماء تاريخ الفن بتفسير ما كتبه فيتروفيوس[1] Vitruvius على حين اشتغل فريق آخر بنبش القديم وتفسير الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فقد قام فريق آخر بعماية آثار روما وبعمل رسومات هندسية ومساحية دقيقة عنها

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والكيفية التى سار عليها أصحابها ، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تأريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر . ولعل أول من نعتبره فى مرتبة مؤرخى الفن هو ناسارى Vasari بكتابه القيم الشامل لتراجم هامة لرجال الفن فى إيطاليا Vite dé pin eccellente pittori, architetti e scultori italiana

وجاء بعده كارل فان ماندر بكتابه الدهش « الشاهدات » Schilderboek المطبوع فى هارلم سنة ١٦٠٤ وفى أمستردام سنة ١٦١٨ ، وكان أقل أثر يذكر له الدعاية للفن ولتاريخه ولتعريف الراغبين بعض الشئ عنه

(١) فيتروفيوس الكاتب اللاتينى والبناء الحربى فى حكم قيصر أوغسطس ، ألف عشرة كتب مهداة إلى أغسطس أوضح فيها كل شئ عن المهارة . راجع : ioit nrnAV vüs,Rode, 2 Vois., Berlin 1800

وجاء هولاندى آخر هو آرنولد هوبرا كن بكتابه « الواصف الكبير » Groote Schuburgh فى ثلاثة أجزاء ، طبعت فى أمستردام أيضاً سنة ١٧٢٨ ، والتى كانت أساس دراسة الفن فى هولاندا كلها



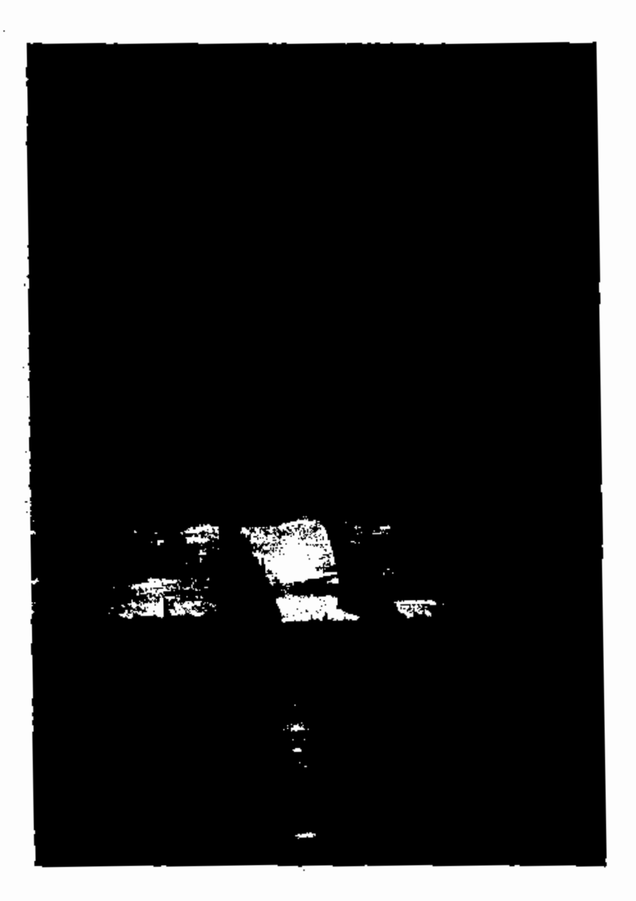
معركة النور والظلام

أما فى ألمانيا فقد ألف المؤرخ يواخيم فون ساندرت كتابه الباهر « أكاديمية العمارة والنحت والتصوير » المطبوع فى نومبرج سنة ١٦٧٥ — ١٦٧٩ للمرة الأولى ، والذى كتب عنه كل المشتغلين بالفن من معاصريه كتابة ذات صفة علمية

على أنه من الضرورى أن نقول بأن الاشتغال بالتأريخ الفنى كان خلال القرن السابع عشر قاصراً فى الغالب على دراسة الفن القديم . هذا إلى جانب وجوب التنويه بأن بعض المشتغلين بتأريخ الفن وجهوا اهتمامهم إلى ناحية الفنون الصغرى الدقيقة كأشغال المعادن وما إليها من أدوات التحلية ؛ وقد ظهر فى هذا المجال كتاب قيم لبرناردى مونفا كو ، وهو مكون من خمسة عشر جزءاً طبع فى باريس سنة ١٧١٩ — ١٧٢٤ L'antiquité expliquée et représentée en figures طبعاً رائعاً وشمل الكثير من الصور الجيدة. وهو من دون نزاع أول مؤلف أوضح فى جلاء كل المخلفات فى العصر القديم ، والتى كانت ظاهرة للعيان فى تلك الأيام

وكان الفضل فى انتشار هذا المؤلف ورواجه راجعاً إلى كتاب آخر ألفه النبيل كالوس[1] Caylus وفيه أشاد بذكر هذا المؤلف فى كتابه Recueil d'antiquités (سبعة أجزاء طبع باريس ١٧٥٢ — ١٧٦٧)

وظل الحال فى ألمانيا على ما هو عليه منذ ساندرت إلى القرن الثامن عشر عند ما أخرج يوهان فردرش كرست وزميله جيزنر مؤلفهما العلمى عن الفن القديم . هذا لنضم إليهما أهل العلم والفضل من مدينة درسدن الذين كانوا عاكفين على كتب الفرنسيين لأنها كانت الكتب التى يمكن الرجوع إليها فى ذلك الحين لعدم وجود غيرها (له بقية) أحمد موسى



الاتساق ...

(١) كالوس أثرى فرنسى مولود فى ٣١ أكتوبر سنة ١٦٩٢ سافر إلى القسطنطينية سنة ١٧١٦ ومنها إلى بلاد الأغريق وإيطاليا والمناطق البحرية من لافنتا وعاد إلى باريس ١٧١٧ حيث بدأ تنظيم مجموعة تحفه وتفرغ لدراسة التاريخ القديم وعلم الآثار القديمة وأوقف نفسه على خدمة الفن والمشتغلين به من الناشئين

وكان عضو الأكاديمية للتصوير والنحت منذ سنة ١٧٣١ وأكاديمية المكتوبات القديمة منذ سنة ١٧٤٢ ، ولها أوقف جائزتين خاصتين بكل منهما مات فى ٥ سبتمبر سنة ١٧٦٥ فى باريس



المـــــرأة اليونانية

للآنسة زينب الحكيم

عنـد ما تفضل الأستاذ صاحب الرسالة الغراء بفتح « باب المرأة » في الرسالة ، حدث لحضرته هذا الصنيع الجميل ، واعتبرت بدء الرسالة عامها السابع المبارك إن شاء الله فألاً حسناً بالنسبة لعالم المرأة — الشرقية عامة والمصرية خاصة —

وسيكون ما يكتب في هذا الباب ، رسالة عالية تمس حياة المرأة من شتى نواحيها ، وفق ما تقدره وتفهمه من لحياة المرأة المثقفة التي نالت قسطاً عظيماً من التعليم العالي، وتلك التي تؤهلها مواهبها الطبيعية، واستعدادها الفطري للمبدأ ذاته . كما تجد فيه ما قد تتوق إلى قراءته في سرعة : من أدب رفيع ، وعلم مستساغ ، وشئون تمس حياتها ، بحيث لا يشغل كل هذا إلا جزءاً وجيزاً من وقتها الثمين

هذا ونرجو ألا يحرم ميدان المرأة هـذا في مجلة الرسالة التي امتازت من يوم أن أنشئت، بالأسلوب الراقي، والأدب الرفيع، من جولات سيدات مصر المثقفات ، حتى يبرهن أن في مصر كاتبات عالمات مثقفات

المحررة

كان من بين البلاد التي زرتها في رحلتي هذا العـام : بلاد اليونان . فإذا تحدثت عنها اليوم ، فإنما أتحدث عن بعض ما شهدته وخبرته بنفسي

فأول ما لفت انتباهي عند ما وصلت أثينا الشوارع الفسيحة المنظمة ، والأوتوبيس الكبير الطويل الأصفر اللون ، وكثرة الحركة في هدوء ، فترى الترام وأنواع المركبات القديمة والحديثة ، والسيارات ذات الأجرة أو الخاصة ، والناس — كل يتخذ اتجاهه في يقظة وهدوء ، ولا تزعجك أصوات السيارات ، ولا أصوات الباعة المتجولين ، ولا مشاغبات أولاد الشارع

وباعة الجرائد والمجلات ، والحلي الزائفة ونظارات التراب الخ لهم أكشاك خشبية نظيفة لطيفة ؛ موضوعة على مسافات متباعدة على الأفاريز

ومن أهم ما أعجبت به رجال البوليس باليونان ، ولا سيما الموجودون منهم في مدينة أثينا : هندام مرتب (بذلة رصاصية اللون ، وتزلك من الجلد الأسود حول الساقين) يعنون أشد العناية بالقيام بواجباتهم ، ويلحظون الزوار الأجانب باهتمام ورفق

استفسرت عن السر في هذا من وزارة السياحة ، فأخبرت أن رجال البوليس الذين في العاصمة، والذين هم في أماكن الاصطياف منتقون من أحسن الرجال وأحسن العائلات ، وهم متعلمون ، وأغلبهم يتكلمون لغات أجنبية (كالإنجليزية والفرنسية والطليانية) لقنوا كثيراً من الآداب العامة ، ويحسنون تطبيقها عملياً في معاملة السياح والناس عموماً . تصدر إليهم أوامر وتعليمات مشددة من رئيس البوليس ، وهو رجل مشهود له بالكفاية متمرن على هذا العمل من زمن طويل ، واشتغل في سراى جلالة الملك مدة

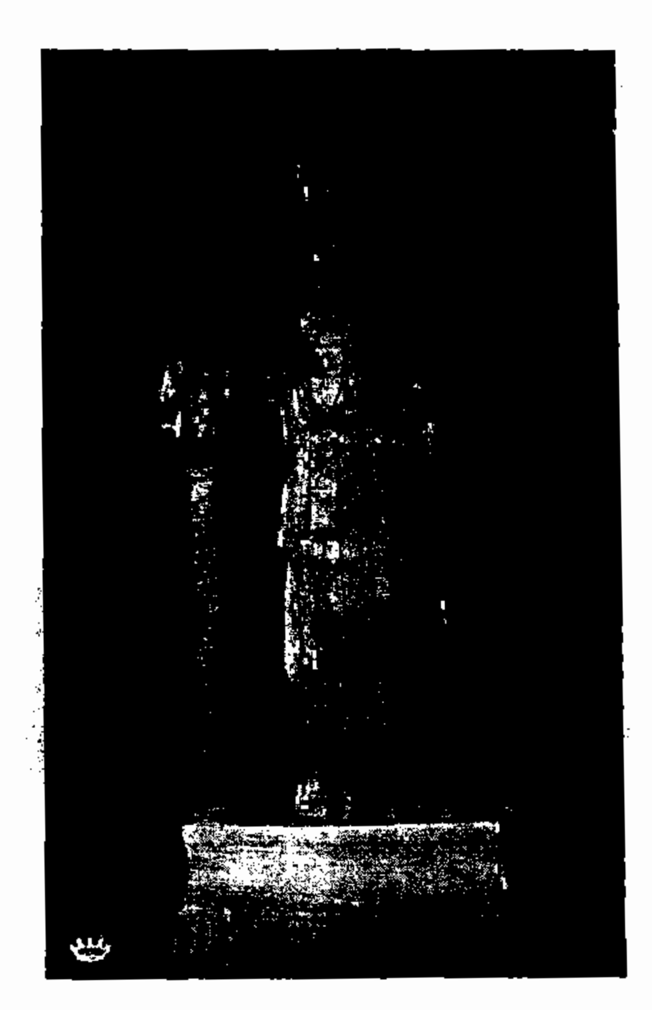
استطلعت رأى بعض السيدات في مقدار إقبال الأم اليونانية على إرسال أولادها إلى مدارس البوليس والتجنيد ، فعلمت أنهن يفخرن أن يقوم أولادهن بهذا العمل الشريف . والإقبال على الكشافة عظيم ؛ ولقد يسر المرأة المصرية أن تعلم أن ليس باليونان أولاد متسكعون في الشوارع ، فإن السيو متكساس رئيس الحكومة اليونانية أمر بانضمام جميع الأولاد المتعطلين والمتشردين إلى فرق الكشافة ، وهم يتعلمون بذلك النظافة والنظام ، وقضاء مصالحهم بأنفسهم ، وفي الوقت نفسه يكونون جيشاً يسير في سبيل النظام وحماية وطنه

الفتيات اليونانيات والكشافة

للفتيات فرق منظمة ، وزيهن هو الزى الكحلي اللون مع حزام أبيض رفيع وأربطة رقبة بيضاء، وأغطية الرأس نوع يشبه

الفيصلية العراقية كحلية اللون عليها دبوس ذهبي من الأمام

أما الأحذية فكانت صيفية منوعة . وحركات الفتيات والفتيان ليست على جانب كبير من الخفة والأناقة ، عكس ما اتصف به رياضيو اليونان القدماء



أثينا : معناها « آلهة السلام وحامية العذارى » وقد أشير إلى هذا برمز فوق الاكروبول ، على شكل غصن زيتون . وقد صاغ تمثال أثينا « فيداس » من العاج والذهب الخالص . وقد وضع هذا التمثال الثمين في معبد بارثينون « Parthenon » على ربوة الأكروبول المقدسة

لا يمكن لزائر بلاد اليونان التغاضي عما يلحظه من سمات الجد على وجوه الناس هناك ، وتقدير الوقت ، حتى لقد يظهر على أجسامهم نوع من الإجهاد البدني والفكري في سبيل العيش ...

إذا سار الرجل في الشارع لا يحمل عصا من أي نوع في يده وإنما يحمل بعضهم السبح ، ولم يقع نظري لا في الصباح ولا في المساء على سيدة يونانية تسير وتصحب كلباً أو يتبعها كلب ، وإنما يذهبن مجدات إلى محال أعمالهن ، ويعدن نشيطات إلى بيوتهن.. قلما رأيت واحدة تلبس حذاء بكعب مرتفع في الطريق ، أو تتساهل في ارتداء ملابس لا تتناسب وكل وقت من اليوم ؛ ولم يقع نظري على واحدة منهن تساهلت في طلاء وجهها بإسراف ، وكثرة النساء اليونانيات ضنينات على العموم بأن يظهرن بمظهر الدمى أو الخلاعة

والمجتمع اليوناني المشترك هادئ ولا (يلعبون) النرد ولا غيره من ألعاب التسلية المزعجة في الأماكن العامة . وطريقة تحدثهم لطيفة ، يستخدمون أيديهم للتعبير أحياناً، ولكن بخفة وهدوء ، وقلما يخلو الحديث أو النقاش من نكتة مستحبة مضحكة ، ويقرأون الجرائد الخاصة وهم جلوس على المقاهي أو المطاعم أو في الحدائق العامة ، ولا يتطفل أحد منهم على جرائد الغير أو ممتلكاته

المرأة في حدائق زابيون

حدائق زابيون عبارة عن بساتين فسيحة تقسمها شوارع مرصوفة نظيفة ، وبها مطاعم ومقاه كبيرة ، وتحتوى على « سراى زابيو » نسبة إلى الأخوين زاباس اللذين وهباها للشعب بعد تأسيسها من خمس وخمسين سنة مضت . وبهذه السراى معرض دائم للصناعات اليونانية ، من صناعات خزفية وزجاجية منقوشة وملونة باليد ، وأقمشة حريرية وصوفية ، وأحذية وصور زيتية وخرائط بارزة وغيرها . وبالجملة يعطى هذا المعرض فكرة تامة عن صناعات اليونان الداخلية . وتقوم بالشرح فيه سيدة يونانية

لحظت أن رواد هذه الحدائق ، والذين يجلسون على مطاعمها ومقاهيها لاستماع الموسيقى من طبقة أرقى ، فالجمهور المشترك مرتب الهيئة ، مهذب العادات إلى حد كبير ، تجلس السيدات إلى جانب الرجال من أسرهن في وقار ، ويلفت أنظارهن جميعاً مرور الزوار الأجانب ولكن نظرتهم إليهم نظرة صداقة وارتياح .

والمجتمع كله هادئ لطيف المعاملة جداً ، بشوش الوجه ، قوى النكتة ، يغلب على أفراده اللون القمحي ، وتختلف الأنوف عن طراز الأنف اليوناني القديم ، بينما الذقن والفم ، والمنظر الجانبي للوجه لا تزال كلها تحتفظ بالطابع اليوناني الأصيل

وحركات هاته الفئة من السيدات وملابسهن أنيقة للغاية ، والملابس غالية الثمن جداً على بساطة نسيجها وزيها ، وكذلك القبعات والأحذية مرتفعة الثمن ؛ وبالاستفسار علمت أن سبب ذلك هو استيراد هذه الضروريات من الخارج ولاسيما من ألمانيا ، لأن المعامل الأهلية قليلة ، والصناعات الوطنية لا تزال بدائية في الوقت الحاضر .

وصف هندام سيدة جلست أمامي

تلبس قبعة حمراء اللون من القش الدنتلا ، على شكل هالة من الأمام ، في أذنيها قرط مستدير أحمر كلون القبعة ، وفي يدها اليسرى سوار ذهبي عريض به فصوص حمراء كبيرة أقتم قليلاً من لون القرط والقبعة

ثيابها من الحرير الجرسيه الأبيض السكرى ، متقن الصنع جداً . وحلى صدره زران ، أحدهما مستدير كالقرط ، والذى تحته لونه كحلى قاتم ، ويحلى أحد أصابع يدها اليمنى خاتم من لون الزر ؛ وحزام الفستان أحمر من لون فصوص السوار . وحذاؤها أبيض مخرم ، وقفازها من الدنتلة البيضاء ، وشعرها كستنائى يصل إلى خلف أذنيها

زينة وجهها بسيطة ومعتدلة للغاية ، فلا تعدو قليلا من الصباغ الأحمر على شفتيها (يضاهى لون القرط) وقليلا من البودرة على وجهها . وهى ربة منزل من أسرة كريمة ، يجلس تجاهها زوجها ، وهو أيضا أنيق الهندام ، يلبس بذلة سكرية اللون (يشبه السكروته الفاتحة) وحذاؤه أبيض مع بنى ، ورباط رقبته أزرق سماوى فاتح جدا وبه نقوش بسيطة من الأحمر الفاتح والبنى الفاتح .

أسود الشعر عريض الحاجبين ، صغير الشارب حليق اللحية .

يكون منظرها حول المنضدة صورة متناسقة مهذبة .



أحد الأزياء اليونانية القديمة

فاذا صح أن هذا نموذج للأسرة اليونانية الموفقة فما لا ريب فيه أنهما يتعاونان على الحياة المشتركة فى سلام واطمئنان دل عليهما ما دار بينهما من محادثات خاصة وعامة ، أثناء تناولهما القهوة ، والإصغاء إلى الموسيقى

« للحديث بقية »

زينب الحكيم



مهداة الى الأستاذ توفيق الحكيم

الجـــائزة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« فى القرن الثالث الميلادى ، فى عصر الملك (دقيانوس) الوثنى الطاغية ، خرج من مدينة (طرسوس) فى بلاد الروم ، بضعة نفر من المسيحيين المؤمنين ، فراراً إلى الله بدينهم من بطش الملك ، ثم لم يظهروا ولم يعلم عنهم شئ . . . وكان منهم وزير الملك . . . ! »

(أهل الكهف)

... ومضت ثلاثمائة سنة ، ومات دقيانوس ، وقامت دولة على أنقاض دولة ، ورفرف السلام على المدينة التى تخضب ثراها بدماء الشهداء فى عصر الطاغية دقيانوس ، وعاد الناس أحراراً فى دينهم وفى شعائرهم ؛ وعاش المسيحى إلى جانب اليهودى إلى جانب الوثنى فى طرسوس ، إخواناً متحابين ، لا يسأل أحدٌ أحداً عن دينه ولا يجادله فى مذهبه ؛ وانصرف كل لشأنه وحاجته

وجلس « صهيون بن يهوذا » إلى مكتبه ذات صباح بجانب النافذة من غرفته الواسعة المشرفة على الطريق وبين جنبيه همٌّ يعالجه ...

لقد كان صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى طرسوس ، ولكن شئون طائفته لم تكن تشغله يوماً عن شئون نفسه ؛ وكان مؤمناً مسموعاً بالتقوى والفضيلة ، عالماً مشهوراً بالاطلاع وسعة المعرفة ، مؤرخاً يروى عن السلف ويحفظ أيام الأمم ويقص ماضى التاريخ ؛ ولكنه كان إلى كل أولئك يهوديًّا من بنى إسرائيل ، يحب المال ويحسن تثميره وتربيته ... ومن ذلك كان أكثر همه حين يخلو إلى نفسه !

... وطال به الوقت وهو جالس إلى مكتبه يحسب ويعدّ ، ويقبض أصابعه ويبسطها فى حسبة لا تنتهى ، ويحصى ما معه من الدراهم وما سوف يأتيه ؛ ثم ابتسم راضياً ، ونهض عن كرسيه لحظة، ثم عاد بكتاب مخطوط فبسطه تحت عينيه وجلس يقرأ ...

ذلك كتاب قديم لم يقرأه أحد قبل صهيون إلا كاتبه نفسه ؛ وقد عثر به منذ أيام عند يهودىّ هرم من سدنة المعبد فاشتراه بنصف درهم ...

وأخذ يقلّب الكتاب صفحة صفحة وهو يقرأ عجلان غير متريث ؛ ثم وقع فجأة على خبر استرعى انتباهه ، وأيقظ شيئاً فى نفسه ، وأخذ يقرأ :

« ... وكان (مشلينيا) وزير الملك الوثنى الطاغية (دقيانوس) مسيحيًّا مؤمناً ، ولكنه كان لا يجهر بدينه عند مولاه ، وقد اتخذ فى داره معبداً لا يعرف الطريق إليه إلا صديقه (مرنوش) حيث يلتقيان كل مساء لعبادة الرب الأعظم ! »

وهز صهيون رأسه مبتسماً وهو يقول : « ما أبدع هذا ! » ثم عاد يقرأ :

« ... ووقف دقيانوس على سر ميشلينيا وصاحبه ، فثارت ثائرته ... : »

وخفق قلب صهيون بعنف ، إشفاقاً على الفتيين من ثورة الملك الذى لا يرحم ، واستمر يقرأ :

« ... وتوعد الملك وزيره بأقصى العقاب ، وضرب له أجلاً يفىء فيه إلى نفسه قبل أن يمضى فيه أمر الملك ويحل عقابه ...!»

وازدادت خفقات قلب الكاهن عنفاً وشدة ، وحضره ما يذكر من سيرة هذا الملك المتأله الذى خضب أرض طرسوس بدماء المؤمنين من رعيته كبرياء على الله ، فى غير رحمة ولا إحسان

ثم عاد الكاهن يقرأ :

« ... ولكن يد دقيانوس لم تنل ميشيلينيا وصحبه ، فقد

استطاعوا الفرار من بطش الملك الجبار إلى مكان لا يعلمه أحد ... كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة ... »

وشاع السرور فى نفس صهيون حين بلغ هـذا الموضع من قصة أهل الكهف ، وتمتم صلاة خافتة يشكر الله ؛ ولكنه استمر يقرأ :

« ... وبلغ دقيانوس نبأ فرار ميشلينيا وصحبه فغلى غليانه ، وسمى جائزة : مائة ألف درهم لمن يأتيه بميشلينيا حياً ... ! »

وبلع صهيون ريقه وأفلت الكتاب من يده ؛ مائة ألف درهم! يا لها من ثروة ! ليته كان فى عهد دقيانوس ، إذن لفعل كل ما يقدر عليه ليظفر بالجائزة ... الوثنية اليهودية ، المسيحية : ما كل أولئك بإزاء مائة ألف درهم ؟ ... الله ، المسيح ، دقيانوس ، ميشلينيا ؛ ماذا يعنيه من كل هؤلاء لو كان يملك مائة ألف درهم ؟ ...

وسبح صهيون فى أحلامه ؛ وهو يقبض أصابعه ويبسطها ، يحسب ما يمكن أن تغل عليه مائة ألف درهم ، لو ... لو أنه كان فى عهد دقيانوس ... !

وسمع فى الشارع زياطاً وضجة فأطل من النافذة ينظر ... ثم لم يلبث أن هبط مسرعاً إلى الشارع ليرى ويسمع ...

يالله ! ما أسرع ما وقعت المعجزة !...

ولم يصدق أذنيه أول ما سمع ... وعاد يسأل عن سر هذا الزحام والضوضاء ؛ وأجابه محدثه : « يامولاى ، إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة ... لقد عثر بهم رجل فى كهف على حدود الصحراء ... إنهم الفتية المؤمنون الذين يتحدث التاريخ أنهم ... منذ ثلاثمائة سنة ... »

ولم يصبر صهيون حتى يستمع إلى بقية النبأ ، لقد كان يعرف ما سيقول محدثه قبل أن ينطق ؛ إنهم آية البعث لمن لا يؤمن ؛ لقد ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثهم آية ... ، ولكن ماذا يعنى صهيون من ذلك ؟... لقد كان الأمر يعنيه لو أن الله الذى بعث أهل الكهف قد بعث معهم دقيانوس ، ليسعى إليه فى طلب الجائزة التى سمّاها منذ ثلاثمائة سنة لمن يأتيه بميشلينيا حيا ؛ فها هو ذا ميشلينيا ، ولكن أين هو دقيانوس ؟

وبرقت له بارقة : وماذا يمنعه أن يطلب الجائزة اليوم من ملك طرسوس ؟ لقد مات دقيانوس ، ولكن حقه فى الجائزة لا يضيّعه موت دقيانوس ! ومن قال إن الملوك الذين خلفوا دقيانوس قد أبطلوا الجائزة التى سماها دقيانوس لمن يدل على ميشلينيا حيا ؟ إنها ما تزال حقًّا شرعياً لمن يسبق إلى بلاغ النبأ ، لا يبطله أن دقيانوس قد مات ومضى على موته قرون !

ولم يتلبث صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى مدينة طرسوس ، تخلّف الزحام وراءه ومضى مسرعاً إلى قصر الملك ...

« مولاى ! »

وكان وزراء الملك من حوله ، فنظروا إلى صهيون يستمعون لما يقول ؛ واستمر الكاهن فى حديثه :

« ... سأدلك يا مولاى على ميشلينيا ، ميشلينيا وزير الملك دقيانوس الذى فر من طرسوس منذ ثلاثمائة سنة ، سآتيك به حياً ، والجائزة لى ... ! »

ونظر الملك إلى وزرائه ، ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض ، ثم توجهوا جميعاً بأنظارهم إلى الكاهن يسألونه بيان أمره ؛ ومضى الكاهن فى حديثه ... ...

وقال وزير من وزراء الملك : « يا مولاى ، إنه أمر ذو بال ؛ لا أعنى حديثه عن الجائزة التى يطلب ، ولكن حديث الفتية الذين ناموا ثلاثمائة سنين ثم عادوا إلى الحياة ؛ إنها عظة الأجيال ، وآية البعث ، ويقظة التاريخ الذى طوته القرون . والرأى عندى أن يطلب مولاى إلى الكاهن صهيون أن يدعو هؤلاء الفتية لنراهم رأى العين أحياء يتنفسون ، ونستمع إلى حديثهم وما كان من أمرهم ... »

قال صهيون : « والجائزة ! »

قال الملك : « وتكون الجائزة لك ! »

* * *

وخرج الكاهن اليهودى مسرعاً إلى الطريق يسعى إلى الأمل لا يرى بينه وبين أن يبلغه غير خطوات معدودة ، ولا يشغله من أمر شىء إلا الثروة التى يمنى نفسه بأن تكون بين يديه بعد قليل. ومضى فى طريقه لا يحيى أحداً ولا ينظر إلى أحد ؛ فلما بلغ حيث

كان الزحام ، وجد الطريق خالية ليس فيها سائل ولا مجيب ؛ وأغذ السير يتبع آثار الجماعة إلى خارج المدينة وهم يثيرون الغبار وراءهم على مبعدة ؛ فأدركهم بعد عناء ...

وبدا له على مرمى قريب جبل قائم يشتد الزحام عند سفحه ، من كثرة يموج بعضهم فى بعض ، ويتطاولون بأعناقهم ليروا شيئاً لا يتبينه حيث يقف ؛ فاستجمع عزمه وراح يشق الزحام بكتفى جبار ، وفى نفسه شعور غامض يوحى بالحيرة والقلق ...

وبلغ سفح الجبل ، فرأى وسمع وعرف ؛ هذا كهف الرقيم حيث يرقد ميشلينيا وصحبه ، وحيث كانوا يرقدون منذ ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ؛ ضرب الله على آذانهم فناموا ما ناموا ، حتى إذا أراد الله أن يظهر آيته أيقظهم فترة من الزمن ليكونوا رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وحقيقة من التاريخ تنطق بالعبرة ، وموعظة ناطقة تتحدث بما كان وبما يكون . فلما بلغ الله بهم ما أراد من بيان قدرته ، ردّهم إلى التاريخ ليكونوا خبراً من خبره تتحدث به الأجيال .

* * *

وأطرق صهيون بن يهوذا لحظة يتفكر ؛ ثم لوى عنانه عائداً يشق الزحام وفى نفسه حسرة وألم ...

وعاد الناس جميعاً مطرقين برءوسهم يتفكرون؛ ولكن الخواطر التى كانت تصطرع فى رأس صهيون ، كانت تعدل مايصطرع فى رءوس الناس جميعاً أو تزيد . كانوا جميعاً يفكرون فى البعث والنشور والآخرة ، وكان هو وحده من دونهم يفكر فى الجائزة التى لا يجد سبيلاً إليها وكانت على مدّ يمينه ، لأنه لا يجد سبيلاً بعد إلى أن يصحب ميشلينيا حياً إلى قصر الملك !

« شبرا » محمد سعيد العريان



دراسة عن شوقي بالفرنسية

في القاهرة تصدر مجلة رفيعة باللغة الفرنسية يديرها محمد ذو الفقار بك ويشترك في تحريرها نخبة من الكتاب المصريين والفرنسيين ، وهي في سنتها الأولى ، واسمها « مجلة القاهرة » La Revue du Caire . وفي عدد ديسمبر من هذه المجلة مقالة نفيسة للأستاذ إدجار جلاّد صاحب (الجورنال ديجبت) ، تناول فيها شاعرية احمد شوقي ، فذكر طرفاً من تاريخه وبسط أسلوبه الاتباعي وأشار إلى جزالة لفظه ، ثم نقل إلى الفرنسية قصيدة من غزليّاته . وخاصيّة المقالة ما جاء فيها من الكلام على استلهام شوقي لجهاد مصر الوطني ونهضة فكرة الإسلام والاضطراب العمرانيّ في الشرق

اتصال المصريين لهذا العهد بأجدادهم

نشر المستشرق الألماني الأستاذ (رودي بَرِت R. Paret) في « مجلة العلوم الدينية » (عدد ٣٥ ج ١و٢) البارزة باللغة الألمانية في مدينة لَيْبتسِج مقالاً لطيفاً يبحث في استمرار الحضارة المصرية ، ولا سيما في مصر العليا على تعاقب العصور ، في الناحية المادية (مثل أدوات المأكل والمشرب والغزل والحرث) واللغوية (مثل إخراج حرف القاف) والدينية (نحو إقامة الأعياد) والاجتماعيــة (كالعادات والعقائد الخاصة بالمولد والموت والزواج والدفن) . وذلك بالرغم من هجوم الحضارات الأجنبية كالإغريقية والرومانية والعربية والنوبية والسودانية . واعتماد صاحب المقال على كتابين : الأول بالإنجليزية وعنوانه « فلاّحو مصر العليا » من تأليف فنفرد بلاكمان ، والثاني بالألمانية وعنوانه « التراث الشعبي في مصر » لصاحبه فنكلر

حديث عن المسرح الباريسي

أفضى الدكتور بشر فارس إلى صحيفة (الجورنال ديجبت) الصادرة في القاهرة باللغة الفرنسية عند وصوله إلى ميناء الإسكندرية عائداً من باريس بحديث عن المسرح الباريسي في هذا الخريف . ويستخلص من هذا الحديث أن التأليف المسرحي هنا لك آخذ في التأخر لتغلب فن الإخراج على إبراز النص ، ولانجذاب المؤلفين إلى الموضوعات الفاسقة مثل حب أم لابنها ، وغرام رجل بآخر . ولشغلهم بالمشكلات السياسية فيستهزئون بالحكم الطلق وينادون بحقوق المرأة ، ويندون بالضرائب ، ويقاومون الميل إلى الحرب والفتك ، ثم لانصراف عامة الجمهور عن المسرحيات الناهضة على التفكير والتأثر الدفين والإيحاء إلى المسرحيات السهلة التناول ، الزاخرة بالعواطف المفرطة ، الفياضة بالجمل « الظريفة » أو الألفاظ الساقطة والمبتذلة

الأسس التجريبية للنظريات الكهربائية الحديثة

ألقى الأستاذ ألبير دره عضو المعهد الأمريكي للمهندسين الكهربائيين محاضرة في ٢٧ ديسمبر الماضي في قاعة معهد أنشئ حديثاً في القاهرة للدراسات الرياضية والطبيعية، استعرض فيها أهم الخواص الكهربائية والمغناطيسية للمادة التي كانت أساس النظريات المعروفة في أواخر القرن الماضي، وذكر ما طرأ عليها من اكتشافات حديثة تطورت بسببها أغلب النظريات الخاصة بتكوين المادة

وكانت هذه المحاضرة تمهيداً لتوزيع العمل بين أعضاء اللجنة التي أنشئت في هذا المعهد لدراسة تطورات هــذه النظريات وما بنيت عليه من وقائع تجريبية

فابتدأ المحاضر كلامه عن ظاهرة الكهرباء التي كان القدماء يعلمون بعض خواصها البسيطة والتي تقدمت العلوم المتعلقة بها تقدماً

سريعاً فى خلال القرن الثامن عشر بعد أن برهن العالم الفرنسى كولومب بواسطة تجارب دقيقة أن القانون الذى تخضع له القوات بين الجسيمات المكهربة هو نفس قانون نيوتون للجاذبية بين المادة. ثم استنتج من هذا القانون أهم خواص الأجسام المكهربة وبين ما هو الفرق بين الأجسام الموصلة والأجسام العازلة

ثم تناول المحاضر بعد ذلك ظاهرة المغناطيس التى كانت أيضاً معروفة للعلماء منذ قديم الزمن، والتى تخضع لقانون كولومب غير أنها رغم وجود نوعين من الكتل المغناطيسية لا يمكن الفصل بينهما مهما جزئ الجسم المغطس ، بخلاف الكهرباء التى يمكن عزل أحد نوعيها عن الآخر بسهولة ؛ وهذا الفرق فى الخواص جوهرى بعث العلماء على الأخذ بنظرية أمبير التى تعتبر أن المغناطيس لا يظهر فى المادة إلا بسبب حركة الجسيمات الكهربائية فى باطنها

وأخذ المحاضر يشرح خواص الكهرباء إذا تحركت وأنتجت تياراً يترتب على مروره فى الأجسام الموصلة ظواهر حرارية وكيميائية ومغناطيسية وتدرج من ذلك إلى ذكر قوانين فاراداى وأمبير المشهورة وقانون لنز (Lenz) الذى يلخص جميع قوانين التأثير المغناطيسى بأنها ظاهرة من ظواهر مقاومة المادة لتغير حالتها الكهربائية أو المغناطيسية . وإذا عممت هذه القوانين على المادة العازلة يمكن كما وضح ذلك مكسويل فى معادلاته المشهورة البرهان على أن هناك تموجات كهربائية تنتشر فى المادة وفى الفضاء بسرعة الضوء، بل على أن الضوء نفسه ما هو إلا نوع خاص من هذه التموجات، وقد شرح المحاضر الحسابات الرياضية الخاصة بذلك . ولقد كان العالم هرتز أول من اكتشف هذه التموجات فى تجاربه المعروفة، فانتشر استعمالها فى الوقت الحاضر بسبب التقدم المدهش الذى تم فى فن الراديو منذ أوائل القرن الحالى

وختمت المحاضرة بذكر الاكتشافات المدنية التى تمت منذ أواخر القرن الماضى، والتى مكنت الطبيعيين من أن يستخرجوا من المادة جسيمات مكهربة وأخرى خالية من الكهرباء، وتموجات مختلفة دلت على أنها مركبة من عناصر غاية فى الصغر لا يمكن إدراك طبيعتها وتفسير تأثير بعضها على بعض إلا إذا أخذ المرء بترك ما عودته حواسه على تصوره عن العالم حوله وتبع فطاحل علماء الطبيعة الحاليين مثل إينشتين وبلانك وبوهر ودى بروجلى وهيزنبرج وشرودينجر وديراك فى عالم تفكيرهم الجديد

م م غ

الحلقة المفقودة

تلك هى حلقة العلماء الذين عرفوا الإسلام وأصوله ، وعرفوا روح العصر وعلومه . ولقد كتبت مرة فى افتقارنا إليها ، وفقداننا إياها ، فلما رأيت (الكلية الشرعية فى بيروت) ودرست فيها قوى فى نفسى الأمل بوجود هذه الحلقة المفقودة . فلما قرأت ما تفضل صاحب الرسالة فكتب عن الكلية ورحلة مديرها الفاضل صديق الأستاذ محمد عمر منيمنة أحببت أن أطمئن إخواننا بأن ظهور هذه الحلقة المفقودة لم يبق أملاً وإنما صار حقيقة تلمس باليد . وأدلة تحقق الأمل هذه (الكلية الشرعية فى بيروت) التى أقامها من العدم سماحة الأستاذ التقى المخلص مفتى الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد ، والتى يديرها وينهض بها الأستاذ منيمنة والأستاذ العامل الشيخ صلاح الدين الزعيم ، ويدرس فيها جماعة من الفحول كالمحدث الجليل الشيخ محمد العربى ، والأديب الكبير الشاعر الشيخ عبد الرحمن سلام . ومن الأدلة (المدرسة الشرعية) فى دمشق التى أنشأها من ماله الأستاذ الزعيم المعروف الشيخ محمد كامل القصاب رئيس جماعة العلماء ، والتى يدرس فيها طائفة من أكابر علماء دمشق ، كالعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ، والأستاذ دهان . وآخر الأدلة وأظهرها (دار العلوم الشرعية فى بغداد) التى أعاد سعادة الأستاذ الكبير حسن رضا بك مدير الأوقاف العام تأسيسها ، وجعلها مدرسة عالية كالحقوق ؛ والتى يديرها الأستاذ العلامة الحاج حمدى الأعظمى، ويدرس فيها الأستاذ الشيخ قاسم القيسى ، والأستاذ الأديب الشيخ محمد بهجة الأثرى وأضرابهم

وهذه المدارس كلها تجمع بين الثقافة الإسلامية ، وبين علوم العصر وثقافته ، وذلك ما نحتاج إليه ونتمناه . فجزى الله القائمين عليها ، والساعين إليها ، وإلى أمثالها أحسن الجزاء ، وحقق الله بها الأمل

« بغداد » ع ط

حول مقال

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة الكريمة

في المقال الأخير من « الحقائق العليا في الحياة » للأستاذ النابغ المحقق عبد المنعم خلاف وردت تلك الجملة : « ولذلك حينما وصف الإسلام لنيتشه أو شو بنهاور — لا أذكر — قال لمحدثه : « إذا كان الإسلام كما وصفت فنحن كلنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحداً منكراً لعقيدة الجماهير »

والصحيح ياسيدي أن تلك الكلمة التي أوردها الأستاذ في معرض الكلام عن الإيمان والعلم لم يقلها هذا ولا ذاك ، وإنما الذي قالها هو « جوته » الفيلسوف الألماني بعد أن أوقفه محدثه على حقيقة الإسلام .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

مشروع لإحياء أدب الرافعي

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان .

لقد كان في تقريرك أن بين أدب الرافعي « وبين الأكثرين من ناشئة المتأدبين حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به » للأسباب التي ذكرتها في عدد الرسالة ٢٨٥ ، تعميم قد يكون فيه تجن على الحقيقة ، وقد يصدق على القليلين الذين لا ذنب للرافعي — رضوان الله عليه — في أن تكون على بصائرهم غشاوة فلا يفقهون . والذي أعرفه — ويعرفه كل أديب ومتأدب في الأقطار الشقيقة — أن الكثرة المطلقة من هؤلاء مدينة لأدب الرافعي في توجيهها إلى طريق الأدب الصحيح ، وأن الناس هنا لينزلون الرافعي من نفوسهم منزلة الأولياء والصالحين . وليس أدب الرافعي من السهولة بالمقدار الذي توهمه بعض المدرسين عندكم ، فظنوا أن في إمكانهم هدمه بوسائلهم البسيطة التي تقدموا بها ، بل هو أدب خالد سيكون له شأن عظيم عند الأجيال المقبلة في التاريخ

وإن كل عربي وكل مسلم في الأقطار الشقيقة ووراء بحر الظلمات في الأمريكتين ، ليحس بأثقل من التبعات التي تحس بثقلها على عاتقك ، ويود من أعماق شعوره أن يجد وسيلة عملية يعبر بها عن وفائه للرافعي رضوان الله عليه ؛ وإنني لأشعر بأنني أعبر عن آراء الجماهير المتأدبة في الأقطار الشقيقة ، حينما أقترح عليك أن تتفق مع إحدى دور النشر الكبرى في عاصمة الفاروق على إعادة طبع جميع مؤلفات الرافعي التي نفدت طبعاتها الأولى من دكاكين الوراقين ، وأن تحضر للطبع أيضاً المؤلفات الأخرى التي لما تطبع ، وأن تبادر إلى الإعلان عن ذلك لتسديد نفقات الطبع عن طريق الاشتراك ، بعد أن يذكر اسم كل كتاب ومقدار الاشتراك فيه ، في مجلة الرسالة التي لا أشك في أن الأستاذ الزيات سوف لا يضن بفراغ في بعض صفحاتها لذلك الاعلان مدة طويلة ، وأنا كفيل أنك ستجد الوفاء عملياً كيف يكون . وانتظاراً لما ستقوم به في هذه الناحية العملية ، أسأل الله أن تكلأك عنايته وأن يمدك بروح من عنده .

« فلسطين » سعيد عوده

دراسة المخطوطات العربية في جامعة برنستون بأمريكا

تعنى جامعة برنستون عناية خاصة بدراسة اللغات السامية وآدابها وتاريخها وبنوع أخص اللغة العربية وأدبها وتاريخها . ولقد بذلت الجامعة في هذه الدراسة مجهوداً عظيماً، فقد قام الدكتور فيليب حتي أستاذ الآداب السامية فيها ومن معه من الأساتذة بنشر دراسات قيمة لنواح متعددة من تاريخ العرب وثقافتهم . وقد نالت هذه الدراسات شهرة عالية لأنها تعتبر في المرتبة الأولى من المراجع الممتازة

وقد درس الدكتور فيليب حتي والدكتور نبيه أمين فارس والدكتور بطرس عبد الملك مجموعة المخطوطات العربية التي يملكها المستر روبرت جرت من بلتيمور وهي المحفوظة في خزانة مكتبة جامعة برنستون دراسة نقدية دقيقة. وها هم أولاء ينشرون هذه الدراسة باللغة الانكليزية لتكون في متناول العلماء والطلاب وجميع من يهتمون بهذه الدراسات

وقد اطلعنا على مقدمة هذا الكتاب فوجدناه على جانب كبير من الأهمية لمن يدرسون آداب العرب وعلومهم . ولعلنا نترجم هذه المقدمة في عدد قادم زيادة في التعريف بهذا الكتاب

وهو يطلب من المطبعة الأمريكية ببيروت

المسابقة الأدبية والرسائل التي قدمت

تقرر تأليف لجنة من حضرات الأساتذة محمد صادق جوهر بك مراقب الامتحانات ، والدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، ومحمد شفيق غربال بك وكيل كلية الآداب ، واحمد أمين أستاذ الأدب العربي ، واسماعيل القباني بمعهد التربية للبنين يعهد إليها لفحص الرسائل التي قدمت للوزارة في مباراة الانتاج الفكري بين رجال التعليم وأساتذة المدارس . وقد جعل من حقها أن تستعين بمن ترى الاستعانة بهم من الاخصائيين في المواد المختلفة .

وقد تقدمت الرسائل التالية :

فى الأدب : رسالة الأدب المصري فى عهد الأسرة المحمدية العلوية لسيد نور الدين هلال . والبارودي لفخرى أبو السعود

وفى التربية وعلم النفس : رسالة فى الشباب والمراهقة لرياض محمد عسكر . وتحليل النفس لحمود محمد محمود . والتربية فى طرق القصص لإيزيس حبيب . ورياضة النفس لفهمى اسحاق

وفى التاريخ : رسالة فى « تاريخ الثورة الفرنسية » لعباس الخردلى . ومصير الحضارة فى ضوء تفسير التاريخ وتطبيقه لابراهيم مسلم والخلافة والسياسة لفخرى أبو السعود . وجامعة الأسكندرية لابراهيم ابراهيم جمعه .

وفى الطبيعة والكيمياء : رسالة فى قصص العلماء والمخترعين فى الكهرباء واللاسلكى لعاطف البرقوق ، وعجائب الفيزيقيا لأحمد فهمى أبو الخير ، والكيمياء ومسائل الحياة اليومية لحسن عبد السلام ، والحسن ابن الهيثم وجهوده فى علم الضوء لعبد الحميد حمدى مرسى ، وحياة النبات ومبدأ التناظر لعبد الحليم منتصر

وفى الرياضة : رسالة فى التحويلات الهندسية لحسن رضوان

وفى الجغرافيا : رسالة موضوعها مصر بين الزراعة والصناعة للويس اسكندر

وفى الفلسفة : رسالة عن أحلام الفلاسفة فى المدينة الفاضلة لزكى نجيب محمود ، وما كان وما يكون لابراهيم السيد اسماعيل

وفى الاجتماع : رسالة فى روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعى لأحمد خاكى ، وسر النجاح فى العصر الحاضر لأحمد حمدى

الأمير شكيب أرسلان في دمشق

كانت وزارة المعارف السورية قد أصدرت مرسوماً بتعيين الأمير شكيب أرسلان المقيم فى سويسرا رئيساً للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، وقد قبل الأمير هذا التعيين، وتقول صحف دمشق إنه ينتظر وصوله إلى سوريا فى الأسبوع القادم لتسلم منصبه العلمى

تنظيم مجمع اللغة

انتهى معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف من دراسة المشروع الجديد لتنظيم مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية ، وهو الذى وضع بعد سحب المشروع القديم من مجلس الشيوخ

وقد أرسل المشروع الجديد إلى قلم قضايا الحكومة لوضعه فى الصيغة القانونية توطئة لعرضه على مجلس الوزراء فالبرلمان

أستاذ فى جامعة فينا يزور مصر فى مهمة علمية

وصل إلى القاهرة أول من أمس البارون فون فرش أستاذ أمراض الرئة فى جامعة فينا ، تلبية للدعوة التى وجهت إليه ، لإلقاء ثلاث محاضرات فى « أمراض الرئة » فى الجمعية الطبية المصرية ، وذلك فى أيام ٢ و ٤ و ٧ يناير

الثقافة

غداً يصدر العدد الأول من مجلة الثقافة ؛ والثقافة مجلة أسبوعية تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ ولجنة التأليف والترجمة والنشر تاريخها معروف فى نشر المعرفة لدى القراء والأدباء منذ ربع قرن ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا كل جليل ونبيل . والرسالة ترحب بالثقافة ترحيب الشقيقة بالشقيقة ، لأن بينهما من صلة الروح والدم والفكر والغاية ما لا يؤثر فيه اختلاف الدار ولا تباين المظهر . وهى ترجو الله مخلصة أن يوفق الثقافة بمقدار نيتها فى صدق الجهاد وإخلاص العمل وتوخى الحق

عالم سويسرى يزور مصر

اعتزم العالم الكبير فريير أستاذ علم التربية بجامعة سويسرا زيارة البلاد المصرية فى شتاء هذا العام . وقد انتهزت وزارة المعارف هذه الفرصة ودعته لإلقاء محاضرات فى علم التربية الحديثة

استدراك

فاتنا أن نقول إن الصورتين المنشورتين فى صفحة ٣١ وهما معركة النور والظلام ، والانتاق هما من تصوير الدكتور أحمد موسى ، وقد تكلمنا عنهما فى العدد الماضى فى باب البريد الأدبى



التصوف الاســــلامى

فى الأدب والأخلاق

تأليف الدكتور زكى مبارك



أمامك صورة الدكتور زكى مبارك فتفرس فيها ثم قل لى ماذا وقع فى حسبانك منها . إن كنت قرأت له ما ألف وما كتب فى النقد والمناظرة فستظنه خارجاً من معركة بولاقية كان فيها شدُّ الشعور ، ولكم الصدور، ونطح الرءوس ، وتمزيق الملابس . وما هذا الرواء البادى على وجهه وهندامه إلا خداع النظر أو فن المصور

وإن كنت قرأت له التصوف الإسلامى فستتخيله لا يزال فى سنتريس (مريداً) للشيخ الطاوى الشاذلى يعكف على الأوراد ويشارك فى الإنشاد ، ويحمل الإبريق ، وينقر الدف ؛ فهو أشعث أغبر ضاوٍ من أثر الذكر والصوم والعبادة

وإن كنت قرأت له هذا وذاك غلب على ظنك أن الرجل قامت به حال نفسية جديدة دل عليها هذا المظهر الجديد؛ فإن إرسال الشعر وتشعيثه من سمات الفلسفة والتصوف والفن . وأنت واجد فى كتاب التصوف الإسلامى صفات وخطرات من كل أولئك جميعاً . وفى رأينا أن هذا الكتاب يؤرخ طوراً جديداً من حياة صديقنا الدكتور ، هو طور التأمل والتعمق والنفوذ إلى صميم الجد فى الموضوع . وهو خليق بأن يسبل على ما تقدمه من مغامراته الجريئة فى الرأى والفعل ستاراً من الصفح الجميل . وإذا كان الله قد عود الشعراء والأدباء أنه يغفر لهم من ذنوبهم ما تقدم وما تأخر ببيت من الشعر أو خاطرة من الرأى فما أحرى زكى مبارك أن يدخل معه الجنة على حساب كتابه ألفاً من الأدباء المحرومين !

الحق أن كتاب التصوف الإسلامى بناء شامخ الذرى فى تاريخ الأدب . وأقوى ما يروعك منه الجهد والاطلاع والفهم . وهذه الخصائص الثلاث هى ميزة الكتاب الجليل والبحث الجامع. وإذا كان المؤلف قد نجح فى « إبراز الملامح الأدبية والخلقية للنزعة الصوفية » فانه نجح كذلك فى كشف ناحية من الأدب العربى والفكر الإسلامى كان الأدباء المؤرخون يمرون عليها معرضين، كما يمر السائح الغفلان على منجم الذهب فلا يرى إلا صخوراً وحجارة . والصوفية هى النزعة الوجدانية الصافية فى الفطر السليمة ، ولها فى الأدب والخلق والفلسفة والحياة إشعاع هادٍ كإشعاع الحق ، وكان لابد لهذا العنصر الباهر المجهول من (مدام كورى) فى زىّ زكى مبارك تنهك الجسم والعصب ، وتنفق الوقت والذهب ، فى سبيل كشفه

لاأريد أن أعرض لك الكتاب ولاأطيق الآن أن أحلله وأنقده، فهو يقع فى نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ؛ وعرضه وتحليله لا يغنيانك عن مطالعته شيئاً . وكل ما أقوله لك إنك ستجد زكى مبارك فيه رجلاً آخر غير الشاب الذى عرفته فى سائر كتبه.

فيض الخـــاطر

مجموع مقالات أدبية واجتماعية للأستاذ أحمد أمين

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه مقالات بعضها نشر فى مجلة « الرسالة » وبعضها نشر فى مجلة « الهلال » ، والبعض الأخير لم ينشر فى هذه ولا تلك ؛ جمعها كاتبها أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فى كتاب إجابة لدافع غريزة حب البقاء ، لأنها — مجموعة — أدل منها متفرقة ، وفى كتاب أبين منها فى أعداد

والأستاذ أحمد أمين من كبار المؤرخين المعاصرين فى العربية ، يدين له تاريخ الحياة العقلية فى القرنين الأول والثانى للهجرة بأحسن ما كتب فى دراسته من سبل التحقيق فى التاريخ . غير أن كتابة الرجل وإن ظهرت عليها مسحة من التدبر العلمى فى استقصاء الأسباب وربط النتائج لها كمظهر تحليلى، فان التقرير دون التحليل هو طابع دراساته . ولكن تقرير الحوادث والوقائع عنده خاضع لمحكمة النقد العليا التى تستنزل أولياتها من المنطق التاريخى ، ومن هنا جاء ما لدراسات الرجل من قيمة

والرجل يمتاز بكل سمات العالم فى بحثه ، من سلامة النظر وسعة الاطلاع والنزاهة وهدوء الطبع . غير أنه ينقصه التحليل فى عمقه . وطابع التقرير يوقفه كثيراً عند ظواهر الأشياء دون أن يستجلى بواطنها . ولا أدل على ذلك من نظرة سريعة لموضوعات مقالاته التى نشرها بعنوان « فيض الخاطر » ؛ فهو فى المقال الأول يتكلم عن « الرأى والعقيدة » ، ويرى الرأى شيئاً والعقيدة شيئاً آخر ، وهو يذهب فى كلامه مولياً وجهة من النظر تذكرنا بوجهة الفنان توفيق الحكيم فى المقال الأول من كتابه « تحت شمس الفكر »

يرى الأستاذ أحمد أمين مكان الرأى الدماغ؛ أما العقيدة فمكانها القلب . والواقع أن هذه التفرقة اعتبارية محض ، فضلاً عن أن القسمة غامضة ، فنحن لا نعرف من القلب معنى غير الشعور والإحساس الباطنى ، ومثل هذا الشعور والإحساس الباطنى ليس الرأى ببعيد عنه . وكم من رأى هو وليد الشعور الباطن والإحساس الداخلى

وفى هذا المقال يرى الكاتب أن الإيمان بالشىء يستتبع العمل على وفقه لا محالة ؛ غير أننا نلاحظ أن الإيمان شىء والعمل شىء آخر ، وليس الإيمان بالشجاعة أو الكرم من الأسباب التى تجعل المرء كريماً أو شجاعاً ؛ فالكرم عادة وخلة تغلب على الطبع ، والشجاعة قوة للتغلب على المكاره مردّها النفس ، وليس للعقيدة دخل فيها ، وإن كانت العقيدة تتلون بها

وفى المقال الثانى يتكلم الكاتب عن « الكيف والكم » ويقدر أن تقدير الأشياء بالكم شىء يرتبط بالطفل فى نشأته والأمة فى طفولتها . ولما كان كل إنسان مرّ فى طور الطفولة ، والأمم جميعها مرت بهذا الطور ، لهذا علق بالذهن الإنسانى تقدير الأشياء بكمّها . وهذا كلام صحيح ولكن يغلب عليه التقرير دون التحليل، لأن التحليل يستلزم النظر فى أسباب ارتباط تقدير الأشياء بكمها بطور الطفولة عند الإنسان

وفى المقال الثالث عن « صديق » تجد الكاتب يولى وجهة من التقرير للأمور ، فيبدع فى عرضه وتصويره ، ولكنه لا يتناول

وزكى مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق — مجاهد بأسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم فى الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالكد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبى على الظروف والحظ . وإذا كان الحظ قد وقع فى حياته فهو الحظ المنكود . لأنه تعلم بكدح قلمه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التى تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله . وهى صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق . ولكنها آتية إليه من وراء الوعى على ظن أن الناس ينكرون عليه فضله وينفسون عليه مكانه

ولو استطاع زكى مبارك أن يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من فن الحياة (Savoir-vivre) لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفى الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمى الضخم الذى قدمه إلى الأدب العربى فى شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته فى النهضة .

الزيات

يبحثه وجه تحطم صديقه من التناقض الذى فى نفسه . هذا . . . وهل يمكن أن يوجد إنسان ليس له وحدته النفسية إلاّ ويكون منحلاً شخصية إلى شخصيات ، وإذن كان الوجه التحليلى فى هذا الموضوع أن يتناول الكاتب بحثه تداخل الشخصيات التى انحل إليها شخص صديقه ، ويبين أثر هذا التدخل فى إيجاد الاضطراب فى نفسه حتى انتهى إلى تحطيمه

وفى المقال الرابع كلام عن « أدب القوة وأدب الضعف » ظاهره جميل ، ولكن أدب الضعف الذى يلمسه الكاتب فى الأدب العربى أليس صورة صادقة من الحياة العربية ؟ إذن ماذا يطلب الكاتب ؟ أيريد من الخراف أن تلبس جلد الأسود ؟ هذا يخرج بالمسألة عن الصدق ، والصدق أساس الأدب عند الكاتب ...

أظن هذه أمثلة وإن كانت سريعة موجزة خطوطها إلا أنها كافية لتثبت أن الكاتب يقف عند حدّ التقرير فيما يكتب . لكن سلامة النظر وسعة الاطلاع وهدوء الطبع تجعل التقريرات التى يقررها الكاتب تتسم بميسم الصدق والواقع فى العموم . وهذا لا يمنع أن يتسرب فى بعض الأحيان بعض الخطأ إلى تقريرات الكاتب ، غير أنها قليلة فى المجموعة ، نذكر منها قوله إن العالم خاضع للمنطق ، وأن له غرضاً يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق ، وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير

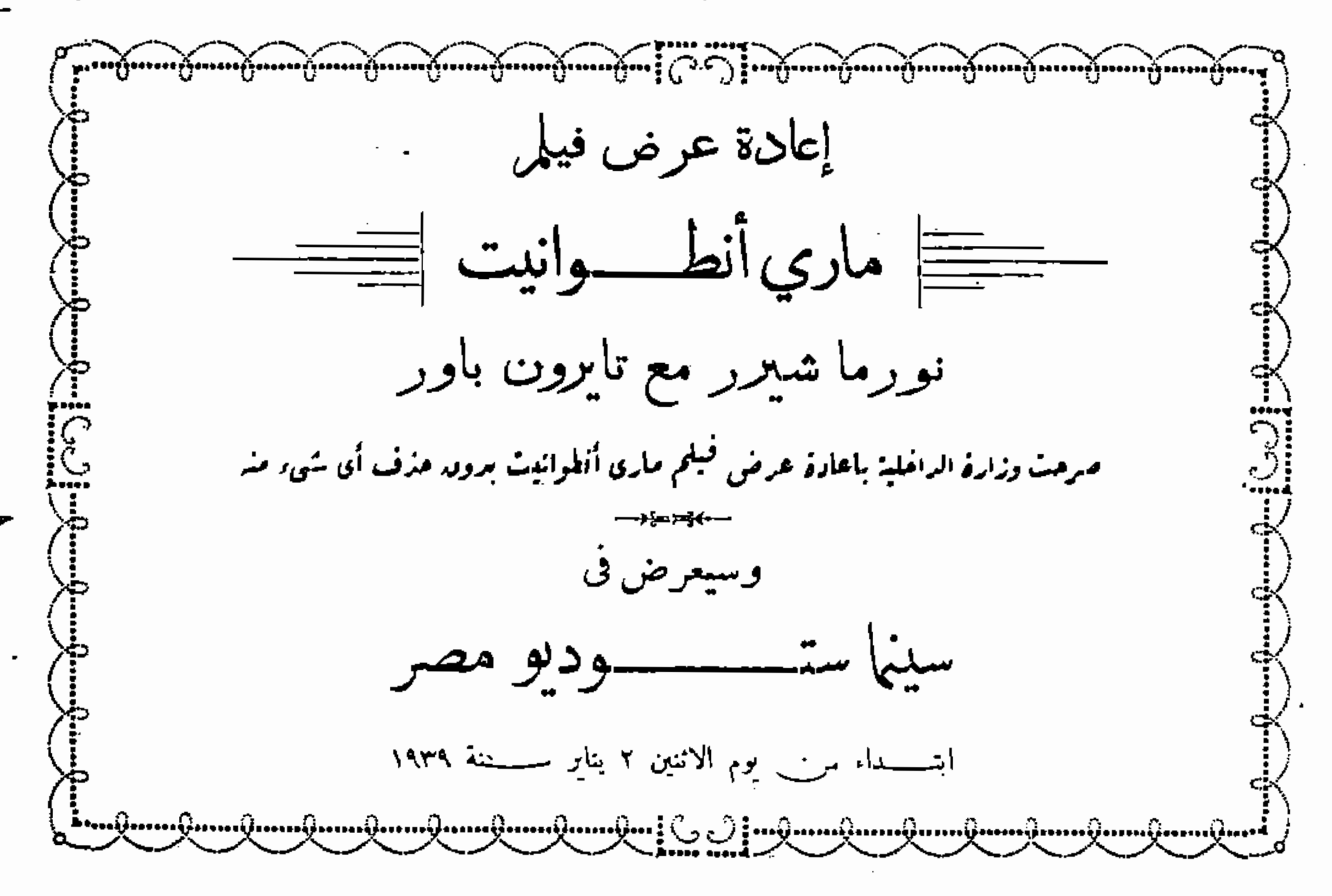
أما كون العالم محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير فهذا صحيح ، وكونه خاضعاً للمنطق صحيح ؛ أما أن يستخلص من ذلك أن العالم له غرض يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق فهذا مما لا نوافق الكاتب عليه . فيصح أن يكون العالم سائراً حسبما اتفق وليس له غرض ، ومع ذلك تراه خاضعاً للمنطق محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير

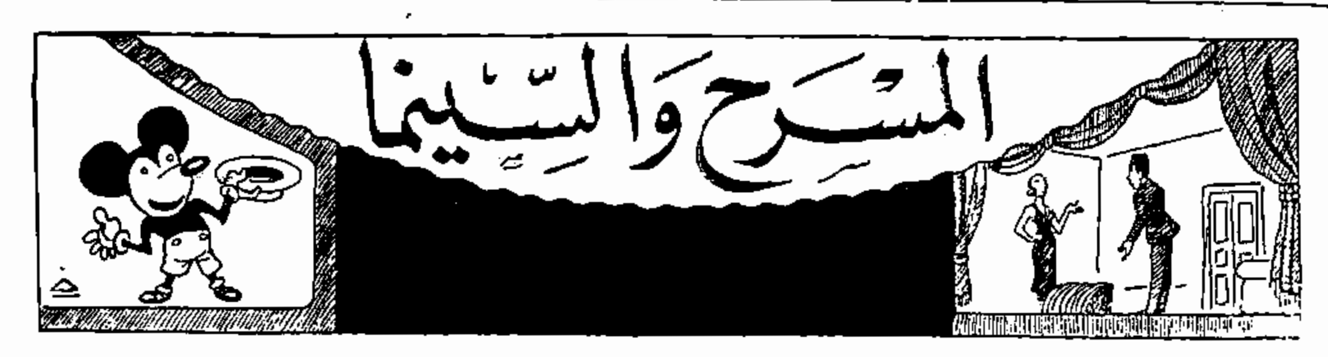
أما بيان ذلك فقد استوفيناه فى بحث سابق منشور بعدد أغسطس سنة ١٩٣٧ من مجلة (الإمام) وفى مقال كتبناه بعدد مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة (المقتطف)

والكاتب يمتاز أسلوبه بإشراق الديباجة ودقة التعبير ، غير أن أسلوبه ينقصه السرعة والهزة التى تجذب النفس ؛ فمن هنا لا يمكن اعتباره أسلوباً أدبياً

والكتاب فى المجموع دراسات قيمة تمتاز بوجه عرضها للموضوع الذى يبلغ به الكاتب أحياناً منزلة الجودة الفنيَّة ، نذكر من هذه الموضوعات « سلطة الآباء » و «من غير عنوان» و « منطق اللغة » « أبو قير »

اسماعيل أحمد أدهم





شارع عماد الدين والمسرح

كانوا قديماً يسمون شارع عماد الدين شارع الفن، وكان البعيد عنه يحسب أن فيه الفن حقاً ، وما زالت تلك الصفة ملقاة عليه معروفة عنه حتى لأهله الذين يعرفون كل ما فيه . وقد كان جائزاً فيما قبل أن يسمى شارع الفن لأنه كان يضم بين جنبيه فرقتين أو أكثر تعملان وتجاهدان

أما اليوم فماذا فى شارع عماد الدين ؟ فيه أربعة مراقص تلبس الانسانية فيها أقبح الأردية . إى والله لم يعد فيه إلا المراقص تنمو وتتكاثر ويرتادها الناس وعلى المسرح السلام ..

الجمهور المثقف الذى يفهم أهمية المسرح ويقدرها قد جرى مع غيره فى مجرى واحد من حيث جحود التمثيل وعدم المبالاة باحتضاره؛ وأصبح يجد فى (الصالات) ما يكفل له تمضية السهرات دون حنين إلى المسرح المقهور أو شفقة عليه ؛ حتى أصبح شارع عماد الدين وما حوله بقعة مجردة من الحياء ، بعيدة عن روحانية الفن بعد الأرض عن السماء ...

فهل انتهى بذلك تاريخ المسرح المصرى؟ وهل انصرف أبطاله كل الانصراف إلى السينما حيث المجال المادى المربح ؟. نرى هذا، ولكنا نأمل ألا يستمر ؛ لأن للمسرح الحقيقى المثقف تأثيره فى النفوس، والسينما قد تستطيع أن تحل محله، ولكنها لا تستطيع أن تكفى عنه كل الكفاية . فهو إذن ضرورى ، وهو لو نهض نهضة حقة سيقف إلى جانب السينما وتحلمها ، وسيعيش وسيكون له شأن .

وأبطال المسرح المصرى لا يزالون أحياء ولا تزال فى نفوسهم الرغبة إلى محاولة الجهاد فى سبيل النهوض به ، ولكن يعجزهم المال ، فيظلون فرادى لا جامع لكلمتهم ولا مستغل لمواهبهم . وحسب وزارة المعارف أن تهيئ (تكية) وتقيمها فى دار (الأوبرا) شهراً أو شهرين من العام ، وهذا عندها هو تشجيع التمثيل .

اجمعوا الجهود وقسموها إلى وحدات ، فهذه للدرام وهذه للكوميدى وهذه للتراجيدى ، تخلقوا جواً شريفاً للمنافسة وتروا نهضة جديدة للمسرح . . . وإلا فقد انتهى أمر التمثيل المسرحى حقاً ، وأصبح (شارع الفن) بقعة موبوءة تظل تنحط وتنحط حتى لا يكون فيها موطئ لقدم شريف

أخيراً تزوجت

ولعل الأمل الباقى فى حياة المسرح المصرى منوط بعنق جمعية أنصار التمثيل والسينما ، وهى وإن كانت مقلة فى إنتاجها ما تزال تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بناء المسرح المنهار . وكان آخر ما قدمته الجمعية بدقة بلغت حد الإعجاب رواية « أخيراً تزوجت» فى حفلة الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا فى الأسبوع الماضى . وإنا لنتمنى لهذه الجمعية أن تواصل نشاطها حتى تكون هى الرمق الحى الذى نرتجى من ورائه للمسرح المصري بعض الخير

وها هى ذى الفرقة القومية لا تكاد تقضى شهراً فى عمل، حتى تقضى مثله أو أمثاله فى كسل . ها هى ذى تنهى دورتها الأولى بعد فترة لم تنتج فيها جديداً يذكر لتعود إلى نومها المعتاد. وهنيئاً لأفرادها هذا الجو الناعم !

فارس الميدان

فرقة الريحانى هى الفرقة التمثيلية الدائمة التى تبرهن على أن التمثيل الكوميدى لما ينعدم بعد . والريحانى يشكر على هذه المثابرة. غير أننا نأخذ عليه اعتقاده بأنه هو وحده الآن فارس الميدان ، وذلك ما جعله يسير الهوينا حتى لا يخرج طوال الموسم كله أكثر من أربع روايات . وذلك إنتاج لا يفى بالحاجة ما

التـــــــأليف

هو علة انهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى

ينادى المهتمون بشئون السينما والمسرح فى مصر بأن المسرح هنا قد اندثر أو كاد ، وأن الفيلم المصرى لم يظهر بعد فى الثوب الفاتن الذى يجب أن يظهر فيه حتى يستطيع أن يقف إلى جانب الأفلام الأجنبية لو فى السوق المصرى وحده ، ويؤولون لذلك أسباباً كثيرة مبنية تارة على أساس وتارة على غير أساس ، وتفكر وزارة المعارف وهى القائمة على أمر التمثيل كأداة من أدوات التثقيف تفكر فى مسيره المظلم ، وتجتمع اللجان وتقرر القرارات وترصد الإعانات وتبذل النفقات فى سخاء ويؤتى بالأجانب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

ولكن أحداً من هؤلاء لم يفكر فى العلة الحقيقية لانهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى ... العلة هى التأليف ولاشئ غيره . فالممثلون الناجحون موجودون فى مصر والمخرجون البارعون موجودون فى مصر ، وجمهور المتفرجين موجود فى مصر ولكن هنالك عنصراً واحداً يكمل هذه العناصر بل يوجهها غير موجود ... هو التأليف

وليس معنى هذا أن مصر بلد لا ينجب المؤلفين ، فالمؤلفون موجودون ولكن كأن لا وجود لهم ... لدينا مؤلفون موهوبون فى طوقهم أن يسدوا حاجة المسرح وزيادة ، وهم مع الأسف يجافون التأليف وينصرفون إلى غيره من شئون القلم لأن التأليف فن ظلمه المتصرفون فى أمره ولم يقدروه قدره أو بعض قدره فأصبح كالصناعة الآلية التى لا يقودها الإبداع الفنى

أصحاب الشركات السينمائية المصرية ومديروها يريدون من المؤلف أن يكتب الرواية الكاملة دون أن يأخذ لها ثمناً وحسبه أن يظهر اسمه على الشاشة فى ذلك ما يكفل له الطعام وكل لوازم الحياة ... وإلا فليأخذ بضعة جنيهات ولا لزوم لاسمه ولينسب تأليف الرواية إلى مدير الشركة أو مخرجها ...

وأصحاب الفرق المسرحية يدعون لأنفسهم القدرة على التأليف فإذا ما قدم مؤلف رواية إلى أحدهم ردها إليه بعد أن يلم بأطراف فكرتها ليكتبها بعد ذلك كيفما اتفق ...

فلماذا إذن يؤلف المؤلف الموهوب ؟ وأين ما يغريه ويشجعه على التأليف ؟ إن اعتزازه بفنه يأبى عليه أن يؤلف ليكون هذا مصير ما يؤلفه ، ومن هنا تتحطم الأقلام وتنزوى المواهب تاركة الميدان — إذا كان هناك ثمة ميدان — لقوم صناعيين لا يكلفهم التأليف عناء الموهبة وشقاء الفن ، فهم يكتبون ويبيعون غير آسفين على بضاعتهم لأنهم كتبوا بعقولهم لا بأرواحهم

أولئك هم الذين يسمَّون اليوم بالمؤلفين وبكبار المؤلفين ولا أقصد بالمؤلفين هؤلاء النفر الذين يؤلفون (للصالات) فليس هذا تأليفاً وإنما هو هراء قوامه النكتة البذيئة والكلمة الجارحة والوضع المقلوب . اللهم إلا القليل منه ...

وبين هؤلاء الذين يكتبون للمراقص كتابة صبيانية ، وأولئك الذين يكتبون للسينما والمسرح كتابة تجارية ، يضيع المؤلف الموهوب الفنان الذى يكتب للفن . . . فالأولى إذن أن يعيش بعيداً عن التأليف

هذا ما كان حتى اليوم وهذا ما سيكون ونظل نراه مادام التقدير الحق معدوماً وما دامت الشركات السينمائية والفرق المسرحية تقدر التأليف آخر ما تقدر وتعتبره عنصراً هيناً قليل الخطر بينما هو أحق من كل شىء بالعناية والاهتمام والبذل

لذلك ترى الفرقة القومية وهى تسمى (قومية) تلجأ إلى الروايات المترجمة وفوق ما فى ذلك من معرة قومية فإنه يصرف الجمهور عنها لأن الجمهور مصرى ويريد أن يرى شيئاً مصرياً

وقد تحتج تلك الفرقة القومية أو تلك المهزلة القومية بأن هذا هو ما يقدم لها وصلح أما غيره فقد كان هزيلاً . . . ولكن هل بحثت الفرقة — وهذا من شأنها — بين الموهوبين حقاً من غير أصحاب الأسماء ؟ لا . . . وهل تركت الغايات والميول جانباً وراعت الحق فى الاختيار ؟ ... لا ... إذن فن أين يأتيها المؤلف الفنان المغمور الذى لا عم ولا خال ...

أما مسألة المباراة فإنها لمهزلة تتكرر وما من ورائها فائدة حتى لو روعى فيها جانب الحياد والحق ... وهيهات ...

أما الطريقة العملية لتشجيع التأليف بل لخلق التأليف وإيجاد المؤلفين فهى أن تقدر وزارة المعارف ثمناً معيناً للرواية السينمائية وثمناً للقصة المسرحية وتشرف هيئة محترمة لا تعرف غير الحق إشرافاً فعلياً على طريقة اختيار الشركات لرواياتها وطريقة دفع الثمن ، أو تقوم هى بعملية الأخذ والاختيار والإعطاء بين المؤلفين والشركات أو المسارح . ثم تقدر من عندها فوق ذلك مكافأة مالية لكل رواية تظهر على الشاشة أو على المسرح وبذلك تكون هى المشرف النزيه فتضمن للمؤلف حقه وفوقه مكافأة فينتج ويبدع ويكون فى مصر تأليف ومؤلفون

(ن)